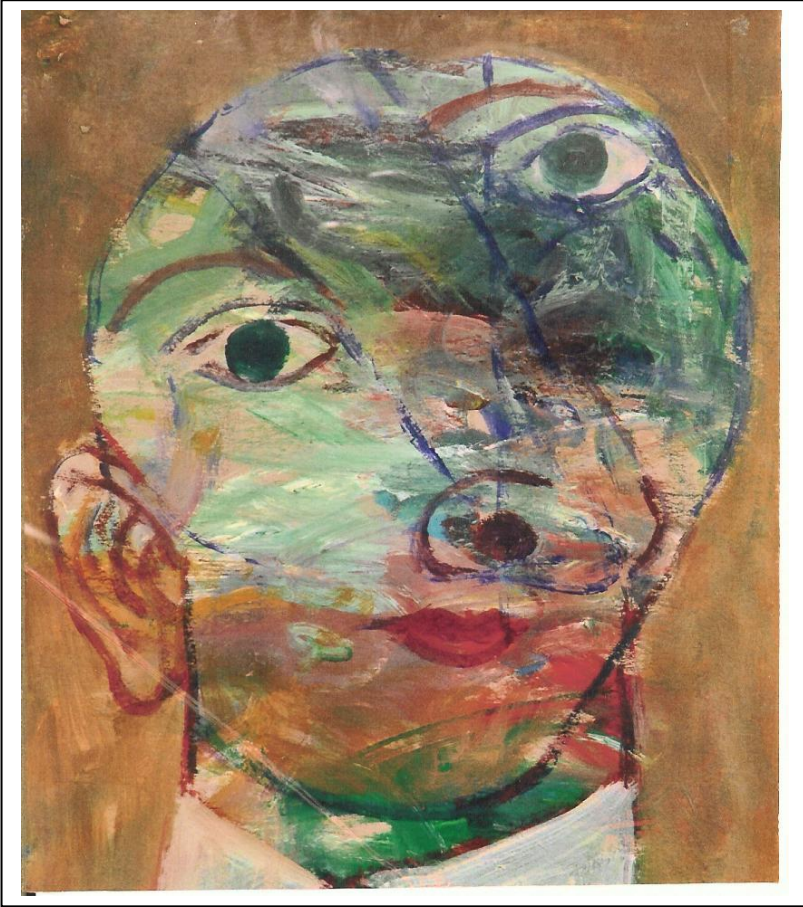


مصطفى عبدالله

# الأجنبيّ الجميل



# الأجنبيّ الجميل

الكتاب : الأجنبيّ الجميل ، (مجموعة شعرية).  
المؤلف : الشاعر والكاتب المسرحي العراقي مصطفى عبدالله.  
تصميم الغلاف والرسوم الداخلية للفنان فيصل لعيبي .

مصطفى عبدالله

# الأجنبي الجميل شعر

الطبعة الاولى - في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة بغداد-2004  
وزارة الثقافة العراقية

# مقدمة: ثمن الشعر

عبدالكريم كاصد

## -1-

في مقالة للشاعر الانجليزي ت.أس. إليوت عن الشاعر أندرو مارفل الذي توفي قبل ما يقرب من أربعة قرون ، يرد هذا المقطع :

" إن قبره ليس بحاجة إلى أزهار ولا إكليل غار، وليس ثمّة عدالة قد نتخيّلها لترجيها إليه ، ولكن بمقدورنا أن نفكّر فيه - إذا كانت هناك حاجة إلى التفكير- من أجل فائدتنا نحن لا فائدته هو: إن إعادة الشاعر إلى الحياة - وهي المهمة الكبرى والباقية للنقد - تعني في هذه الحالة أن نعصر بضع قطراتٍ من قصيدتين أو ثلاث قصائد ، وحتى إذا اقتصرنا على هذه ، فقد نجد فيها شراباً نادراً لا يعرفه هذا العصر ."

هذا المطلب الإليوتي قد يبدو هيئاً ، ولكنني سأكون ممتناً إذا استطاع أحد أن يعصر قطرات أبيات من الشعر لكثير من الشعراء الذين يحتفي بهم النقد ، اليوم ، وتضيق بهم المنتديات .

لسنا بمحيي موتى ، ولا شاعرنا مصطفى بالميت ، ومانحنا هو التفكير لا من أجل فائدته هو وقد ذهب مصطفى وبقي شعره ، وإنما من أجل فائدتنا نحن الذين شغلنا الأحداث والإحتفاء بأنفسنا عن تأمل أنفسنا وتذكّر ما غاب منا .

وحتى لو أعدنا ما تصوّرناه ميّتاً إلى الحياة فكيف لنا أن نتيقن من بصيرة قارئ نحتكم إليه ، وسط فوضىّ من الأحكام ، يطالعنا بها النقد يومياً .

ومما يزيد المهمة صعوبةً أنّ شعراً يحتفي بالناس قد ينصرف عنه الناس في زحمة مشاغلهم والاكتفاء بما توفر لهم ثقافة النجوم من سماء ليست هي إلا بقعة ضئيلة من سماء أوسع .

وقد يقرب من هذا مصير شعراء كبار في تاريخنا الشعريّ ، ندر من يتذكّرهم ، دراساتٍ جادّة ، في السنوات الأخيرة ، بعد أن صار

النسيان هو القاعدة ، والذاكرة هي الاستثناء ، في أمة تعتبر الذاكرة من مفاخرها ، وهي حقاً من مفاخرها ولكن على مستوى القول لا الفعل ، فما اكثر الكتب التي أحرقت وما أكثر الكتب التي أهملت . أتري ينطبق علينا ما قاله شبنغلر في كتابه تدهور الحضارة الغربية أنّ ثقافتنا هي ثقافة الكهف ... ثقافة الحاضر الدائم Present Permanet الذي لا يتطلّع إلى مستقبل ولا يلتفت إلى ماضٍ ، فما يهّمه هو الحاضر الدائم ، الحاضر الذي يخلق أصنامه وطواطمه بطريقة ما .

لعلّ أشدّ ما يميّز شعر مصطفى هو احتفاؤه باليوميّ ، لالتوقف عنده بل من أجل تخطّيه إلى نقيضه من حلم ، وطفولة ، وأساطير ، فهو حتّى في أشدّ تفصيلاته العادية ، كان مأخوذاً بما يتجاوز هذه التفاصيل من مخيلةٍ ومشاعر وأفكار . ولم يكن مصطفى يمارس هذا التوجّه بفطنته الشعرية وحدها ، بل بوعيه أيضاً ، مدركاً أنّه جزء من حركة شعريةٍ يمثّلها شعراء عديدون همّها هو هذا التوجّه بالذات من دون حصر الشعر في إطارٍ ما ، لأنّ هذه الحركة بلا إطار أصلاً ولأنّها بعمق الواقع وسعته ، حيث الجوهر عصيّ على الإمساك إن لم تسعفه ثقافة شعرية وخبرة حياتية عميقتين .

فلو أخذنا قصيدة "النزهة" ، مثلاً ، لرأينا أنّ الشاعر يبدأ من الحياة العادية ، العادية جداً حيث الممارسة اليومية مألوفة للجميع ، إلى ما هو أبعد من هذه الممارسة ... إلى نقيضها ، حتّى لتبدو مرآة الشاعر وكأنّها تعكس الواقع مقلوباً ، أو كأنّ الشاعر يهشم المرآة ليخترقها إلى الواقع نفسه :

لماذا ينزل أولاد الحيانّة قبل وقوف الباص ..؟  
ويقتسمون مع الحرّ ، سريعاً ، أبواب البارات  
وأسواق الخضرة والساحات .

وحيث تنام الشمس على الطرقات  
ينتصبون رفوفاً للبارد والحلويات ... ؟

....

....

لا أدري

كيف ستطلو النزهة ،

بين الأشجار وأولاد الحيّانية ..؟

أطفال يتسلقون الباص ، ثم ينزلون قبل وقوفه ، تجنباً لدفع الأجرة ، ثم سرعان ما يفترشون الارض أمام أبواب البارات وأسواق الخضرة والساحات حتى حلول المساء الذي تشير إليه استعارة مصطفى الجميلة "وحيث تنام الشمس على الطرقات" ، غير أنّ القصيدة تفارق مألوفها فجأة بهذا البيت النادر "ينتصبون رفوفاً للبارد والحلويات" ، حيث تحلّ المخيلة محلّ الواقع المألوف ، لتمهّد في الاخير لهذه الحركة المباغطة التي تنطوي على سؤال جارح :

" لا أدري كيف ستطلو النزهة بين الأشجار ، وأولاد الحيّانية ..؟"

هذه القصيدة البسيطة التي قد لا تستوقف الكثير من نقّاد اليوم ، المشغولين بنظريّات الشعر أكثر من الشعر نفسه ، أثارت حفيظة البعثيين آنذاك ، ودفعتهم إلى الجهر بعدائهم لمثل هذا الشعر الذي اعتبروه إنكاراً للتحوّلات الثوريّة التي تجري في الواقع على حدّ زعمهم . ولعلّ ما يبدو مألوفاً في هذه القصيدة هو في أشدّ حالاته اغتراباً ، في مجتمع شهد استرخاءً ظاهرياً كاذباً ، حيث الناس يحتفلون بنزهاتهم اليوميّة المسترخية وسط اطفال مرهقين استحالوا رفوفاً من التعب . إنّها اللامبالاة التي شهدها مجتمعنا والتي أنذرت بأسوأ العواقب فيما بعد . لقد وصف الشاعر سعدي يوسف هذه القصيدة عند نشرها ، بـ " أنّها شوكة في العينين " .

الأجنبي الجميل

في هذه القصيدة ، يوظف الشاعرُ اليوميّ لما هو أبقى ، محتفياً  
بالإنسان ، بالحياة نفسها رغم كلّ ما يكتنفها من مراراتٍ يوميةٍ ،  
وصراعٍ مرير .  
يخاطبُ مصطفى في قصيدةٍ أخرى ، أباه الفلاح ، مصوراً صراعه  
من أجل البقاء :

تنهض قبل غياب النجم  
والكلب النائم قرب رماد الحرّاس  
تسعل مختنقاً : بدخان السعف المغبرّ  
وجذوع النخل النديان ،  
لكن حين يدقّ الرعد على الأبواب  
تنسى بين يديك الخبز  
تلّم الحشف المنشور على الدار  
وتسدّ عيون السقف

لا يكتفي مصطفى برصد هذا اليوميّ وصراع الإنسان فيه ، بل  
يتجاوزه إلى ما هو أكبر من أسئلة وجوديّة عصيّة على الإجابة :  
في شمس القيظ ،  
مكشوف الرأس  
أسرعت تغطّي الشجر الغضّ .  
... انظر :

يتأرجح عمرك في الحبل المشدود  
ما بين الفم والدود !  
يا عبدالله بن الملائ حسين  
لا تخلع نعليك ، فانت أتيت إلى الدنيا ،  
محمولاً فوق يديك .



الأجنبي الجميل

ولعلّ هذه المزاوجة بين ما هو يوميّ وما يتجاوزه من أسئلة كبرى ،  
هي السمة الأساسية التي ظلّت بارزةً في شعر مصطفى منذ بداياته :

يا خلوة التابوت

تمهلي

فكلّنا نموت

وإذا كان الاهتمام بما هو يوميّ قد يصرف بعض الشعراء عن الغناء  
لانشغالهم بتفصيلات الحياة التي غالباً ما تكون جاقّةً ، مملّةً فإن شعر  
مصطفى منذ بداياته كان محتفياً باليوميّ والغناء معاً وكأتهما رمزاً  
للاحتفاء بالواقع والشعر :

يا طعم النعناع

يا أنية الفضة

طيري بالمنديل

أنفاسي دفعت فوق البحر

أبلام الناس

سأميل عليك

يا عود الآس

"غناء"

\* \_\_\_\_\_ \*

قد يستحيل اليوميّ نفسه في شعر مصطفى إلى ما هو اسطوريّ ، من  
دون أن يُسقط عليه الشاعر أوهامه أو تداعياته ، كما في قصيدة  
"الدهلين" ، التي يمهدّ مطلعها الدخول إلى جوّ الأسطورة:

في ساعات الظهر

تكسرّ أقدام الأولاد زجاج النهر

تطلق رائحة الجولان على أجنحة الحشرات

تنتقوس كلّ القامات

## في ساعات

وحين يصف مصطفى ، في هذه القصيدة ، دهليز العمّ حبيب وأبقاره  
لايحضر اليوميّ وحده ، في الأذهان ، وإنّما بعده الأسطوريّ أيضاً ،  
دون أن يتعمّده الشاعر ، وهذا ما أشار إليه ، بحصافةٍ ، الناقد  
المعروف فاضل ثامر ، حين تناول هذه القصيدة بالنقد ، إثر نشرها ،  
أي أنّ الأسطوريّ لا يأتي من خارج القصيدة بل ينبثق من داخلها ، من  
واقعيّتها نفسها ، يجسّده جوّ القصيدة ، وألفاظها التي تستحيل مجازاتٍ  
، واستعاراتٍ ، وإيحاءً يمتدّ إلى ما هو أبعد من ذاكرة الشاعر  
وتدقيقاته الواقعيّة :

ما بين الدرب الحار

والحوش الحار

دهليز بارد

علّق فيه الأولاد مناجلهم

وتدلّت طاسات الماء

يا أولاد

مَنْ يجلب للأبقار حشيشاً

يجلسن في دهليز الشيخ إبراهيم

مَنْ يأتٍ بمنجله معه ،

يأخذ طاسة ماءٍ بارد

وقامة ظلّ .

\* \* \*

مَنْ سدّ الباب

هل أكلت أسنان الصيف الظلّ ..؟

\* \* \*

كم خوّض في وحل الأنهار من الأولاد

في هذا الظهر ... ؟  
كم يكفي من شوك العاقول لأقدام الأولاد  
في هذا الظهر  
سترنّ الطاسات بقعر إناء الماء  
ويكون الحرّ كبيراً  
\* \* \*

هل تأكل أبقار الشيخ وحولاً حمراء ... ؟  
أولاد يستلقون  
أولاد ينطفئون  
أولاد حلّ مناجلهم تعب الأولاد

تطالعنا الأسطورة في رسم الدهليز ، وسط هذا القيط اللاهب ، وفي  
هذه الاستعارات الغريبة : " أسنان الصيف التي تأكل الظلّ " ، " أقدام  
الأولاد التي تكسر زجاج النهر " ، " الرائحة التي تنطلق على اجنحة  
الحشرات " ، " الطاسات التي ترنّ بقعر إناء الماء " ، " الحرّ الكبير  
" ، " البقرات التي تأكل وحولاً حمراء " ، " الأولاد الذين ينطفئون " ،  
وغيرها من الاستعارات التي تعمق جوّ الأسطورة ، حيث البقر ،  
والناس ، وهوام الأرض ، يتقاسمون عالماً واحداً ، ويتخاطبون بلغةٍ  
واحدة :

سارَ الأولاد  
وقف الأولاد  
- يا أبقار الشيخ إبراهيم  
لماذا رائحة الفاصولياء .. ؟  
مَنْ يتوقّف قرب الحفرة .. ؟  
مَنْ يبستْ شفتاه وسال الماء الأخضر  
حتّى انعقد الثمر النافر مثل الطفل .. ؟

أما المنجز الفذّ في شعر مصطفى وفي شعرنا العراقيّ فهو قصيدته " الأجنبيّ الجميل " ، التي أعتبرها من بين أجمل قصائدنا المكتوبة في المنفى .

قصيدة يمتزج فيها الخارق بالمألوف ، والحلم باليقظة ، والواقع بالمخيّلة ، وينفضح فيها الأجنبيّ المتخفيّ ، متردداً ، معرّضاً للفضيحة في كلّ آن ، لا يجد مكاناً ، ولإنّ وجده فإنّ من المحال بلوغه :

أنا الأجنبيّ تعثرت بالحاضرين وقمتُ إلى المائدة

على قدمٍ واحده

ولكنّ الأجنبيّ في مواجهة عالمه هذا ، عالمه الصلب ظاهريّاً ، الهشّ في داخله ، يطلق لمخيّته العنان ، ويهب تفصيلاته امتداداتٍ أخرى ، ويجعل من ظهوره وتخفيّه لعبةً ، ومن مراراته سخريةً ، ومن صمته إشارات تومئ إلى ما يقصّر عنه الكلام ، ممّا أكسب قصيدته أبعاداً جديدةً ، فجعلها توحى بأكثر ممّا تقول ، وتتسع بقدر ما تتعمّق ، متجاوزةً أحاسيس الشاعر إلى ما هو أعمّ من أحاسيس اختبارها بعضنا وقد يختبرها آخرون من أجيالٍ أخرى يختلفون عنّا في مشاعرهم وأحاسيسهم دون أثرٍ لعاطفةٍ مسرفةٍ ، أو دموع :

أنا الأجنبيّ طويْتُ الكتاب

دخلتُ الحقيبةَ منتظراً أن يجيء القطار

أنا الأجنبيّ

معي لقبي

ولستُ وحيداً ولكنني - في البقيّة - وحدي

أنا الأجنبيّ

عرفتُ حدودي

فرتبّت لي وطناً من ورق  
- إنّه علبةٌ للسجائر -  
وحين يباغتني في المقاهي القلق  
ويتبعني مثل عود الثقاب  
ألم متاعي وأشعلُ سيجارتي  
ثم أمضي ،  
خفيفاً ،

بما يحترق !!

\* \_\_\_\_\_ \*

إنّه الشعر في أصفى حالاته واكتماله .  
عالم ورقّي خفيف يتأرجح بين الضوء والظلّ ، بين الظهور والتخفيّ ،  
قابل للاشتعال بعود ثقاب ، في أيّة لحظةٍ من لحظات قلق الشاعر .  
إنّ قصائد مثل : " مرثية إلى أبي " ، و " الدهليز " ، و " الأجنبيّ  
الجميل " ، و " النزهة " ، و " دمي " ، و " سيدي الصمت " ترى  
أينطبق عليها ما قاله إليوت في مقطعه الذي أوردناه في مستهلّ مقالتنا  
: " إنّ إعادة الشاعر إلى الحياة - وهي المهمة الكبرى والباقية للنقد -  
تعني في هذه الحالة أن نعصر بضع قطراتٍ من قصيدتين أو ثلاث  
قصائد ، وحتىّ إذا اقتصرنا على هذه ، فقد نجد فيها شراباً نادراً لا  
يعرفه هذا العصر ..؟ " .

## - 2 -

وجدتُ صعوبةً بالغةً حقّاً في جمع قصائد مصطفى ، لا سيّما أنّ نتاجه  
مورّع بين العديد من المجالات والصحف بالإضافة إلى صعوبة قراءة  
بعض المطبوع منه ، وقد أرسلتُ إليّ نسخة المصوّرة ، لذلك رأيت أنّ  
مهمتي لن تنجز بالشكل المطلوب دون الإطّلاع على النسخ الأصليّة  
ومقارنة المتشابه منها ، وتبيان ما امحى فيها من كلمات وأحرف .

وما سهّل مهمتي هذه هو أنّ مصطفى خُفّ وراءه ديوانين مُعدّين للطبع ، مما مكّنتني من تفحص نتاجه بشكل أدقّ ، وتتبع ما آلت إليه قصائده من حياةٍ أُخيرة .

في ديوانه الأوّل ( بين الكلّ ) ترد القصائد التالية : ( فاضل حميد ) ، ( خبز البترول ) ، ( الخارطة ) ، ( أيها القطار يا وطني ) ، لكنني وجدتُ هذه القصائد ترد أيضاً في ديوانه الثاني ( الخارطة ) من دون تغيير سوى ما طرأ من تغيير على عنوان القصيدة الأخيرة ، إذ أصبح ( حقائب ) بدلاً من ( أيها القطار يا وطني ) ، لذلك آثرتُ رفعها من الديوان الأوّل وإبقاءها في الديوان الثاني .

كذلك وردت في الديوان الأوّل قصائد بهذه العناوين الغربية التي لم نجد لها مبرراً ( A.B.C.D.E.F.G.H ) غير أنّ الشاعر كما يبدو أعاد النظر فيها فضمّن قصائده (A.B.C.D.E.F) قصيدته الطويلة ذات المقاطع ( صورة العاشق ) ، وبعض هذه القصائد وردت أيضاً في ديوان ( الخارطة ) بعناوين وصيغ مختلفة . أمّا قصيدته (G) فقد ضمّنها الشاعر ديوانه ( الخارطة ) ، بعنوان ( زهرة المواطن ) ، فبدت في صيغتها الأولى وكأنّها جزء مقتطع من قصيدة لم تكتمل . كذلك قصيدة (H) فإنها ترد في ( الخارطة ) بعنوان ( غزو ) وبذلك جنّبنا الشاعر نفسه مشكلة تقبل مثل هذا النوع من العناوين المُربكة للقارئ والناقد معاً .

وردت في الديوان الأوّل أيضاً قصيدتان هما ( بور سعيد الجديدة ) و( إصرار ) تبين لي أثناء مراجعتي لأوراق الشاعر الراحل أنّهما من قصيدة أسبق بعنوان

( شهدي عطية ) ، غير أنّ الشاعر ارتأى فصلهما من القصيدة – وكان في ذلك محقاً من الجانب الفني – ونشرهما بصفتهما قصيدتين لا تربطهما بالقصيدة السابقة صلة ما ، لذلك اعتمدت الصيغة الأخيرة

كما وردت في ديوان ( بين الكل ) ، واهملتُ الصيغة التي وردت في النسخة الأصلية لقصيدة ( شهدي عطية ) ، ولعلّ هذه المراجعة هي التي دفعته إلى الكتابة عن شهدي عطية مجدداً في قصيدته ( حكاية ) الواردة في ديوان ( الخارطة ) .

التكرار ذاته واجهني أيضاً في ديوان ( الخارطة ) ، كما أسلفت ، إذ وردت بعض قصائده في أمكنة أخرى من إبداع الشاعر ، فقد وردت قصيدتنا

( الحفلات ) ، و ( اعتراف ) ضمن ( صورة العاشق ) ، بعد أن كانتا في ديوان ( بين الكل ) بعنوانين مختلفين هما ( D ) و ( F ) ، والقصيدة الأولى وردت في صيغة مختلفة عما كانت عليه في الديوان الأول ، كذلك وردت قصيدتنا

( شيخوخة ) و ( احتمال ) ضمن قصائد عديدة نشرها الشاعر بعنوان ( مكاشفات ) . والثانية وردت في ( مكاشفات ) بعنوان ( سفر ) . أي أنّ بعض القصائد ترد في أكثر من مكانين ، وبعناوين مختلفة .

ثمّة قصائد وردت أجزاء من قصائد أخرى كقصيدة ( البحث عن الاستقامة ) التي جاءت جزءاً من قصيدة ( هو ) الواردة في ديوان ( بين الكل ) ، لذلك آثرت الصيغة الواردة في الديوان . وهذه المسألة واجهتني كثيراً أثناء مراجعتي لقصائد القسم الذي ضمّ قصائده المتأخرة ، إذ ورد معظمها بصيغتين مختلفتين آثرت الصيغة الأفضل ، وكان شفيعي في ذلك الاختيار صيغتها المنشورة التي تدلّ على زمنٍ متأخر على كتابتها ، وفنيتها ، وعبارتها الموجزة . كذلك ورد في واحدةٍ من القصائد المنشورة في فصل ( البدايات ) إهداء لم يكن موجوداً في نسختها الأصلية المكتوبة بخط الشاعر فأهملتها ، ولم أرَ فيها ضرورة أو إشارة دالة سوى محبة الشاعر والمناسبة الخاصة

البعيدة عن جو القصيدة ، لأنها جاءت لاحقاً بالقصيدة وليست جزءاً منها ، وهذا خلاف ما نراه في قصيدتيه ( مرثية إلى أبي ) ،  
( فاضل حميد ) ، وقصائد أخرى شكّل الإهداء جزءاً من بنيتها .  
هذا التوزيع قادني إلى تقسيم شعر مصطفى إلى الأقسام التالية : بين الكلّ ، الخارطة ، صورة العاشق ، مكاشفات ، وبذلك حافظت على تقسيم الشاعر نفسه تقريباً في اختياره عناوين ديوانيه الأوّلين وقصيدتيه اللتين ضمّتا مقطوعات ومقاطع عديدة . أمّا ما أضفته إلى تقسيم الشاعر الذي حافظت عليه فهو قسمان أحدهما ( البدايات ) ويضمّ بعض قصائده الأولى التي لم يضمّها ديوانه ، وفصل يضمّ قصائده المتأخرة ومن بينها قصيدته الشهيرة ( الأجنبي الجميل ) ، وقد سمّيته ( الأجنبي الجميل ) أيضاً ، مبتدئاً مجموعة أعماله الشعرية بهذا الفصل الذي تعقبه الفصول الأربعة الأولى هبوطاً حتّى البدايات .  
في هذا الفصل طالعنتني صعوبات شتى إذ وردت بعض القصائد ، كقصيدة

( يا خلوة التابوت ) بعناوين ومقاطع مختلفة ، فهي قد نشرت في جريدة

( الطليعة ) المغربية بعنوان ( قصائد ) ، كما ضمّت في صيغتها الأخيرة المنشورة في مجلّة ( الثقافة الجديدة ) العراقية ، وفي مخطوطة الشاعر مقاطع أخرى لم أستثن منها سوى المقطع الذي نشره الشاعر منفصلاً بعنوان ( دمي ) الذي يبدأ بهذا البيت الشجيّ ( دمي أيّها النازف الحلو ) . وقد أثرنا العنوان ( يا خلوة التابوت ) على العنوان ( قصائد ) لتردده على السنة القراء ، ولأن القصيدة لم تعد قصائد اختيرت للنشر بل عالماً شعرياً متجانساً في قصائد يجمعها خيط واحد ، ويفتحها مطلع لا يخضع للترقيم ، هو هذا المطلع الشهير :



## يا خلوة التابوت

تمهلي

فكلنا يموت

ولا تخلو قصيدة ( دمي ) من إشكالات إذ ورد أحد أبياتها بصيغتين هما ( ولتكن مثل قطر الندى ) ، و(ولتكن مثل ماء المطر ) ، وقد أثرت الصيغة الثانية لأنها الصيغة النهائية ، ولأنها ألصق بروح مصطفى القريبية من ملامسة خشونة الواقع لا نعومته المتمثل بـ ( قطر الندى ) . وللقارئ أن يختار ما يشاء . كما أضيفت لفظتا ( فوق التراب ) إلى أحد اببياتها الذي هو ( تكفي لتمحو رسمك ) ، وأرى أن هذه الاضافة جاءت ضرورية لشدّ بناء القصيدة فهي التي مهّدت للقافية الأخيرة أن تكون ضربة قاطعة تغلق القصيدة .

ثمّة مسألة أخرى هي قصائده المكتوبة في الستينات ، ومطلع السبعينيات والتي أهملها الشاعر فلم يضمّنها ديوانيه ( بين الكلّ ) و ( الخارطة ) ، وأنا بدوري أهملتها ولم أختَر منها إلاّ اليسير الذي يجده القارئ في الفصل الاخير ( البدايات ) ، لارتباك عالمها الشعريّ ، وجملها المتعثرة ، وأخطائها النحويّة والصرفيّة التي ما كنت أبه لها لو أنّها جاءت في مواقع أخرى من قصائده الجيدة .

اعتمدت ، في جمع أعمال مصطفى ، الرجوع إلى النص الأصليّ إلاّ قصيدة واحدة لم أعثر على نصّها الاصلّي ، مطبوعاً أو مكتوباً ، ألاّ وهي قصيدة ( المطر الجميل ) المنشورة في ( مكاشفات ... ما بعد الرحيل ) الصادر عن دار المدى . وتشاء المصادفة أن يكون بيتها الاخير ( تنحني التماثيل دون أن تنكسر ) تنوعاً على عنوان قصيدة لي هو ( تنكسر التماثيل حين تنحني ) كتبتها في مطلع الستينات ولم أبق منها سوى عنوانها الذي ضمنته مجموعتي الشعريّة الموسومة ( هجاء الحجر ومديح الطريق ) المعدّ للطبع ، ولعلّ في هذا التنوع ما

يشير إلى ما هو أبعد من الكلمات ... إلى الروح وأواصرها الباقية التي جمعت بين شاعرين .

أخيراً أودّ الإشارة إلى أنّ رابطة الكتاب والصحفيين والفنانين الديمقراطيين العراقيين قد أصدرت سنة 1990 كتاباً بعنوان ( الأجنبي الجميل ) احتوى على مختارات شعرية ، وبعض ما كتب عن الشاعر من قصائد وكلمات ، إثر رحيله المفاجئ . أعددت الكتاب بالتعاون مع الشاعرين مهدي محمد علي ، وعود ناصر .

كما أصدرت دار المدى مختارات للشاعر اختارها وقدم لها الصديق العزيز الدكتور مجيد الراضي . وما حاولتي هذه إلاّ امتداد لهذين الجهدين ، أملاً أن تكون أكثر اقتراباً من ملامح الشاعر وشعره .

تجدد الإشارة إلى ما نشره فراس مجيد من ( مكاشفات ) للشاعر مصطفى عبدالله في العدد الأول من مجلة ( تافكوت ) وقد بلغ عددها عشراً ، حافظت على ترتيبها كما وردت، مضيفاً إليها أربع عشرة مكاشفة نُشرت في جريدة ( الميثاق ) المغربية ، وقصيدة ( المطر الجميل ) التي أشرت إليها ، والتي لم أعثر على نصّها أصلي، مبتدئاً المكاشفات بالمكاشفة التي أطلق عليها الشاعر اسم ( تمهيد ) .

أمل أيضاً أن تتاح لي أو لغيري الفرصة لجمع ما خلفه الراحل من سيناريوهات ، ومسرحيات ، وكتاباتٍ أخرى .

عبدالكريم كاصد

القسم الأول:  
الأجنبيّ الجميل

## الأجنبيّ الجميل

أنا الأجنبيّ الجميل ...

أنا الأجنبيّ وهذا لساني ...

الذي يشتهي،

ولا يستحي

فيطول !

أنا الأجنبيّ تحيرتُ بين قميصي وهذا الظلام

الخفيف

تطلّون منه عليّ فلا تجدوني معه

تحيرتُ بين قميصي وجلدي الضعيف

تطلّون منه عليّ فتسحركم ضجّة الأقمعة

\* \* \*

أنا الأجنبيّ تعثّرتُ بالحاضرين وقمتُ إلى المائدة

على قدمٍ واحدة

وكان الكلامُ النظيفُ يهلهُ

ويغسل كلّ الصحون

تمنّيتُ أن أعترض

ولكنني

تذكّرتُ أنني أتيتُ بدون فمي ،

وأنني تركتُ لساني الطويل

مع الحبر ... في قلبي

أنا الأجنبيُّ تمنيتُ أن أعترض

ولكنني ما وجدتُ الكلام.

تذكّرتُ صوتي يوّدّعني .

ترى كيفَ لي أن أقول

وأن أعتدل

على مقعدي وهو بين الكراسي يميل ..؟

أنا الأجنبيُّ

تعثّرتُ حتى انفضحتُ وضاق المكان

وكانوا يرصّونني للشموع وللعطر والهفوات

التي في شهيق السجائر . أسمعُه . وزفير الدخان

فأمسح وجهي بكمِّ قميصي

وأدنو من المائدة

تُرى أين أخفي البطاقةَ حتى أُضَيِّعَ إسمي

وأين أُغَيِّرُ هذا القميص الذي رَقَشْتَهُ النخيل  
تَخَيَّلْتُ أَنِي تَعَرَّيْتُ وَسَطَ السَّاكِينِ  
أنا مثلها قابلتني الوجوهُ بألقابها  
عاريّاً في الخروج  
أنا مثلها قابلتني الوجوهُ بأسمائها  
عاريّاً في الدخول ..!

\* \* \*

أنا الأجنبيُّ طويْتُ الكتاب  
دخلتُ الحقيبةَ منتظراً أن يجيء القطار  
أنا الأجنبيُّ  
معي لقبِي  
ولسْتُ وحيداً ولكنني - في البقية - وحدي

\* \* \*

أنا الأجنبيُّ  
عرفتُ حدودي  
فرتبْتُ لي وطناً من ورق  
. إنَّهُ علبَةٌ للسجائر .

وحين يباغتني في المقاهي القلق  
ويتبعني مثل عود الثقاب  
ألم متاعي وأشعلُ سيجارتي  
ثم أمضي  
خفيفاً ،

بما يحترق ..!

\* \* \*

أنا الأجنبي الجميل  
وقفتُ مع الواقفين  
تراحمتُ ، لكنني في المكان القليل  
أميل  
لتعبر قبلي الحقائق  
ويعبر قبلي المكان  
ويعبر قبلي الزمان  
تعلمتُ أن أنتظر  
وأصنع لي وطناً في جواز السفر .

## سيدي الصمت

أيها الصمت

يا سيدي في الكلام

انني أغلق بابي عن الريح . كي أستريح

وأنفخ فوق الشموع

وأسمع كلّ الطبول

أيها الصمت

يا سيدي في الكلام

تحملتني في الكثير

فهل ضقت بي في القليل



## دمي

دمي أيها النازف الحلو  
لا تكن خالصاً وثقيل  
واحترس أن تلون هذا التراب  
وحتى الثياب  
ولتكنْ مثل ماء المطر  
لفحة من هواء قليل  
تكفي لتمحو رسمك فوق الكتاب  
وتحفظ وجهك : أن ينقش الدود فيه  
وأن يستريح عليه الذباب

## الحصان

أيها الأمس  
كن طيباً ، فالحصان  
وقعت عنقه واستكان  
كانت الشمس  
تضرب في الطين  
والعين  
والرمل في الطين  
والعين  
والرمل فوق اللسان .

\* \* \*

منذ زمان  
كانت الأرض لا تنتهي  
تحت رجل الحصان  
كانت الريح لا تهتدي  
لصهيل الحصان  
كان ظلّ الحصان على الرمل

سقفاً لأهل المكان

\* \* \*

أيها الأمس

كن طيباً ، فالزجاج تكسّر :

من ينحني

كي يلمّ الحصان .. ؟ .

## سيدي الزمان

هذا زماني وأعرفه

مرة من هنا

حبره

مرة من هناك

جرى ريقه

فأنكر حوصلتي

ومغّط أسنانه بالسواك

\* \* \*

كلنا يشتهي أن يكون

وليكن ما يكون

أتاني زماني وحرّضني

فشطبتُ على أسننا

ومحوتُ الكتاب القديم

...ولكنّه قبل أن ألقت :

بصّني

وأخرجني من لساني

- وكتبّني بأكفّ الجنود .  
زمانى هذا وأعرفه  
ويعرفنى :  
يحاظنى فى القيام  
ويرفسنى فى القعود .

## يا خلوة التابوت

يا خلوة التابوت

تمهلي

فكلنا يموت .

(1)

نعم ، كانت الأرض

كلها ، كانت الأرض سوداء ؛

الدجاج الذي لم يفّر

والكلاب التي جلست تنتظر

كلها والحصير الذي لم تتمّ عليه صلاة العشاء

نعم والأواني وكيس الطحين

وأمي التي ... بقيت وحدها

والعجين .

(2)

هذي ليست بدلته الخاكيه ،

وهذا البسطال

وهذي الكتف .

وهذا الوشم  
وهذي الضرس الذهبيه  
وهذا الشعر الأشيب  
هذي ليست لأخي ،  
كان صبيّاً حين توادعنا في فجر الحرب .  
(3)

" صاحب منهل "  
صعد الدبابة  
وتحسّس أزرارَ التحريك  
والعتلات الدوّاره  
جربَ إسم الأمر مهدي بجهاز الإرسال الرأسي .  
شمّ هواءً من أنبوب الغرّفه ،  
وغطّى بالطينِ مصابيح العدّادات .  
صاحب منهل  
يُنصتُ لليلِ المحروق على الطرفين  
-خلّى في البيتِ الليل الصيفي  
وجواداً مربوطاً كالبسطل .

صاحب منهل

لم يتمهّل

صعد الدبابة بالسنوات العشرين

في اليوم المجهول ،

ولم ينزل .

(4)

كنا نفرش هذا السعف الأخضر تحت الشمس

ويأتي الصيفُ فينشف ، ثم يجيء شتاءُ البرد .

فنوقد فيه النار وندفأ .

كنا نصعد للنخل ونقطع طلعاً نأكل منه

ونصنع من بعض اللقّاح القرب الصفراء .

وكبرنا قبل النخل .

وظلّ النخل يمرُّ

وظلّ السعف الأخضر واللقّاح ..

وظلّ الخوصُ يمرُّ علينا صيفَ شتاء .

- يا صبر النخلِ علينا في الحرِّ وفي البرد القارس -

وعبرنا الشطّ إلى الدنيا ،



هزّتنا ريحٌ

وانطفأ المصباح .

... كانوا مجتمعين - صغاراً - تحت النخل

فاشتعل الظلّ

والتّم العمر سريعاً حول حناجرهم .

كبروا مثل النخل

وافترقوا فرداً فرداً مثل السنوات الحمراء

بين رماد النخل .

(5)

أنت أخذت الدواء

حسناً ، فلتكن نبضة القلب أقوى

وليجلّ بصدرك كلُّ الهواء

لا تتن

إنها لحظةٌ وتمرّ

تَحَمَّلْ على الوقت رقةً روحك

تهبط للقبر مثل السلام .

وقاوم يديك اللتين نسيتهما والسلاح

وقاوم بعينيك هذا الظلام .

وقل للورود التي حضرت

وللأصدقاء المصابين والأخوات المصابات

والأمهات اللواتي تغيّين عن مجلس الفاتحه

وقل لأبيك السعيد

إنها لحظة وتمرّ

وقد مرّت البارحه .

(6)

لا حدّ أقصرَ من دمك

ماءٌ تكسّر في إناء

مثل البكاء

فالدمعُ يصلح للضحك .

(7)

غالباً ما ننام

وننسى الرصاص الذي لا يكفّ ..

ونحلم ألاّ نموت

لم نعد نستحي عندما لا يموت لنا أحدٌ

ويموت من الناس - جيراننا - مَنْ يشاء  
وننسى الرصاص يمرُّ إلى مَنْ يشاء  
لم نعد نستحي عندما لا نموت  
فحزناً - لحظة فتح التوابيت حتى تقوت .  
إنها الحرب فينا  
وقد صققت للسكوت الطويل  
هنا بين أعيننا ولسان القتل .  
(8)

مرّة نأخذ الشطّ

- نحن الصغار -

ونأتي به راجفاً بين أجسادنا والثياب البليه .  
فيضربنا أهلنا  
ونرجع بالشطّ - مرتجفين - إلى بيته .

- إنه لا يبالي ، ويعرفنا واحداً واحداً  
ويعرف كلّ اللعب .

مرّة يأخذ الشطّ منا أصابعنا  
وقد نحتمل

وقد ننتهي فنموت  
ولكننا لا نحاذر من شطّنا  
إذا ما تناسى اللعب .  
ربما كان للشطّ لونا وكانت له رائحه  
فيعرفها أهلنا في الثياب التي نشفت فوق أجسادنا  
فنخاف ، ونصعد للنوم دون عشاء  
ربما كان شطُّ العرب  
حلماً ثم لم نتذكّر  
ربما كان يأخذنا ثم نصحو  
ونأخذه ثم نصحو فلا نتذكّر  
ربما ، كان كأساً من الماء ،  
نشربه .  
ومرّت بأيدينا  
طلقةً  
فتكسر ..؟

(9)

توابيتنا الفارغة

تفرّقنا في الزحام

وتجمعنا للصلاة على الميتين .

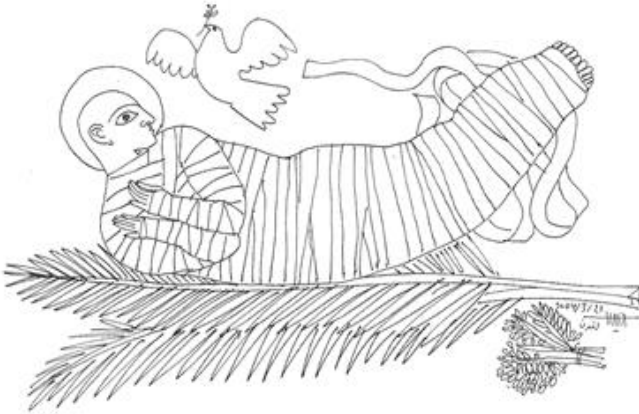
توابيتنا مثلنا خشب في خشب .

ولمّا تضيق بنا أرضنا الغارقة

ونفشل في الطفو مثل الخشب

تهلّ علينا توابيتنا

من الغيبِ مفتوحةً واسعاً .



القسم الثاني :

# مكتشفات

## تمهيد

(1)

كلنا أتينا صامتين ،  
وعندما فتحنا أفواهنا  
اهتزّ ثم انطفأ المصباح .

(2)

عندما يتقل الليل ،  
وتخفّ الأجنحة  
أفتح النافذة كي تخرج هذه الأنفاس  
مثل السلاسل .  
أو مثل البكاء !..

(3)

تلك الأغنية  
مثل حبيبتني .  
لم أصرّ على أسناني  
فأخذها مني العالم المتشابك .

(4)

الجلوس على الحاقّة ؛

حافة كرسي

حافة سرير

حافة ظلّ أو وطن

كما على عهدك بالأشياء

تفكّر ، متخيلاً أنّك مثل الجميع

تقلّب تلك السكّين ذات الحاقّة المُعدّة لك .

ثم - كما تريد - تجلس ..!



## شيخوخة

هكذا يقف الشاعر  
متكئاً على قامته ، باسطاً كفيه  
وأنتِ التي ألفتِ خطوطه المتداخلة  
وجاورته مثل صمته الكسول  
لماذا تخيرتِ حبل شراعه الوحيد  
و رسوتِ بزورقٍ من زجاج  
على مناخ شاطئه المدجج بالحافات .

\* \* \*

لكلّ هذه الأيام التي صنع قوتها البحر  
نهدي قواربنا

\* \* \*

وأنتِ تعلمين كم هي ثقيلةً هذه الصفة المستهلكة  
التي تملأ قلبي بالاحتمالات  
كجسر بين طعنيتين !..

\* \* \*

فليحمل الحجر كلّ هذه الأصداف الملونة

وليقبض يومي القادم على الهواء الثقيل  
الذي خلّفته معارك الفصول والغايات .

\* \* \*

هكذا يقف الشاعر بين طعنيتين  
مُتَّكِباً على قامته المُسَنِّنة  
باسطاً كَفْيِهِ فوق الدماء المحطّمة  
وحيداً ، يقرأ شعره  
ضارباً بقواه الخمس بين أرضه وأصدقائه

\* \* \*

وقفتُ فابتسمت لي الشيخوخة  
فخجلتُ وتدافعتُ ..

## غبار

أرضنا الحادة  
تروح وتجيء تحت أقدامنا العارية ،  
تحت أحمالنا الثقيلة  
أرضنا الحادة الملونة برائحة أجسادنا ،  
المفروقة بين أصابعنا وعيوننا  
هي وحدها ، أيتها المرأة المترددة  
تفتح لنا الأبواب التي نستحقها

\* \* \*

أمس ، وليس مثل كل يوم  
اتسع بيتي لكل الأشياء الحية :  
للورقة التي تمسكت بغصنها  
للخبز الأبيض ،  
للطين على قامات الأطفال  
للأمهات الثابتات  
للأظافر المسننة تحضر الملاجيء للأشجار والعصافير  
أمس كان مثلك أنت ، مثلك أنت

دقّ بابي  
ورفع الغبار عن نافذتي  
ورتبني أمامه على كرسيّ من قصب  
وجلس أمامي  
أبيض ، أبيض كالنهار !..

## رجل

نظر الرجل إلى عينيه  
نظر إلى أصابعه  
وتخيّل صورته تلقي إليه التحيّة ، ثم تغادر  
ولكنّه عندما تحرّكت الستارة  
ودقّ جرس الباب  
عرف الرجل كلّ التجاعيد حول عينيه  
والارتعاشات في أصابعه  
فألقي التحيّة إلى المرأة وغادر  
جلس الرجل العجوز  
بعطره النادر  
وملابسه الأنيقة  
وشعره المنضبط  
وتلمّس حول عنقه رباطه الحريريّ ،  
كلّ الهواء هنا ...  
عاجل مثل العجلات  
لكن عندما رفع الرجل ساعته

عرف الوقت  
فاحتسى أكواب القهوة  
وتذكّر المرأة التي بانتظاره  
صباح الغد .

## الاسم

أيها الرجل  
تدققت شمس أصابعك ،  
لتصنع ورقة .  
أيها الرجل  
فانتظر الحبر الذي ستشربه .  
حتى تتحول إلى مكان وإسم .  
أيها الرجل  
ماذا بقي منك حتى تعترض ..؟  
وهواؤك الذي جمعته في فمك  
كلّ هذه السنوات  
حوّلك إلى فقاعة على رأس خنجر  
أو اسم على طرف اللسان  
\* \* \*

اسمي لي وحدي  
وأنا لهم كلّهم  
لست أدري أين أضع لساني

أو عيني .  
حتى تعرفني الشجرة  
وتعطي ظلّها لإسمي .  
\* \* \*

أيها الرجل  
لقد أوهمك الكرسي ،  
فحاولت أن تسأل .  
وأوهمك المكان .  
فحاولت أن تحرك قدميك ،  
وأوهمك الكتاب  
فحاولت أن تعلن الأشياء التي رأيتها  
والأسماء التي عرفتھا  
\* \* \*

أنا انتظر  
مثل أحجار الشاطيء  
أن يأتي البحر ،  
ويصنع من إسمي تمثالا .



## الذاكرة

إنها عادتنا ،

نفرح ،

عندما نكون قد نسينا

وهناك

في محطة ذاكرتنا الثقيلة

ينتظر المسافر ، مع حقيبته الفارغة :

الكلمة التي على وشك أن تقال

والإشارة التي أوشكت أن تقول

والبلد الذي يهدده السفر

\* \* \*

أيتها الذاكرة البحر

اتركينا نطفو

فلا شيء أخفّ من الكلام

ولا شيء أسهل من الطاعة

\* \* \*

أيتها الذاكرة

ادخلي حفلة الليل دون تردّد :

بين لسان الشاعر

ومحفظة المقاتل

\* \* \*

إنها عادتنا

نطفو

عندما ننسى

فتأخذنا الموجة

## وراء

الرجل : وقد التفت

للضياء الحافي

للمصم الحجري

للأمس المقلوب كحذاء بال

الرجل ينتهي ، فتحصل المراجعة وينبش الجلد

والرأس ينتظر بين كفّ وسكّين

ليس للغد عائلة تحمي أصابع الرجل

أو تفتح عينيه ..

إننا نعبر ، وتلبس المرأة شجرتها الخضراء

صامته مثلنا ، غير أنّ الطريقة ليست متشابهة :

هي اشترت

ونحن بعنا

\* \* \*

الرجل : قطعة في المكان القصي

بيت من كتابة

ليس له فراغ ينتهي إليه

ليته لم يلتفت ، لم يضع قدمه

فليتّم البكاء حول القبر ..!

\* \* \*

كلنا هكذا

طعم ورائحة

والأسنان التي تنتظر

ستحتمي بعروقنا البيضاء ،

وتستمر الحركة :

نغيب

قبل أن نحضر ..!

## أغنية الخط المستقيم

أخذتني أغنية الخط المستقيم  
أنا الطالع مثل الرمح إلى حلبة الليل والنهار  
هنا في الركن المقصي  
حيث النسيان ينتفخ مثل القطن  
يجلس الخط المستقيم ، ويطلق إلى الأبد  
طفلته الأغنية

\* \* \*

من بين الخطوط المتكاثرة  
اخترت هذا الخط المستقيم  
المباشر كالمطر والضوء  
أول العلل  
أول الاختلاف بين الصمت والبكاء  
المتراكم بنفسه  
المحدود كالحافة  
المتواضع كالضيف  
اخترته ، وأعرف أنّ النياشين

ليست على مدّ البصر أبدا .

\* \* \*

أخذتني الأغنية على صهوة حزنها الأبيض

إلى النية المؤجلة في الوصول

المنوعة بأحجار السور الشاهق

وحديد الشبابيك الضيقة

وهناك ، على الأرض الثقيلة بالخطوط الأخرى :

المائلة والمنكسرة والمتداخلة

والمتشابكة والمنحرفة والمتقاطعة

أسرح بصري

إلى حيث يصل الجميع

جميع الخطوط

لكل النياشين

إلا زُحّي : الخط المستقيم

## حلم

أعتذر  
للهواء الذي احتمل صمتي  
لذاكرتي التي نسيتهها  
للغائبين في صحراء لساني  
للمطر الذي أبدع غفوتي  
للصبي الذي سبقني  
للمحطة التي غادرها الجميع  
للطريق التي شدت وجهي  
للمرأة التي حلت شعرها للريح  
أعتذر لكم  
أيها المنتظرون  
أيها الخشب  
أيتها النار التي غافلتني  
\* \* \*  
أنا الضيف القديم  
أراقب نعلي ولساني

أحفظ الماء الذي يرافق صيفي  
والمتاع الذي يلمّ أصابعي

\* \* \*

ليتتي لم أفق  
وبقيت في البيت .



## الصرخة

صرخة واحدة ضد الزجاج  
ضد الصداً الثقيل  
ضد الأموات المقفلين على الشموع والبخور  
صرخة واحدة من أجل المجد :  
مجد الحصان الخافر  
والخيمة المكسورة فوق الظل  
كلنا أكلنا الخبز البارد  
وتدافعنا مثل الحجر إلى الوادي  
فاصرخوا مع الذئب أيها القليلون  
ادخلوا على الماء والضوء  
وانصتوا إلى أنين الحشرة في فم الثعبان  
\* \* \*

هذه ليست طعنة

إنها شجرة

هذا ليس الخوف

إنه اسمي

\* \* \*

أيها الرجل : واكتفيت  
متعني قطرة مطر ضالّة  
على منقار طائر  
هنا تبدأ الحكمة : أخفّ الأشياء  
هي الأرض دائماً

## أغنية الميزان

الميزان الأبيض  
الخفيف ، الناعم والقديم كالخطأ  
أكمل اليوم أغنيته  
وفي اليوم الأول من هذه السنة  
من هذا البحر  
من هذه الحفرة الطويلة حتى القبر  
قال الميزان حجّته ، لكننا غادرنا غير مبالين  
\* \* \*

الحجّة البسيطة ، القليلة للحركة كلّها :

للصبي وهو يحزن  
للمرأة وهي تنظر الجثة  
لرجل وهو يرى لكنه لا يقول ،  
هذه الحجّة الصدى  
ترنّ في ودياننا السحيقة  
مثل ذئب سريّ نتقاسمه كلّنا ، لكننا لا نقول  
ثم نخرج إلى مقهى النهار

منتبهين جيّداً للأشياء التي لا نسمعها

ولملا بسنا السميقة على المنبر

\* \* \*

قال الميزان لثيابنا المهيأة :

إن الخط يميل

والأشياء الخفيضة تتصاعد إلى الكرسي

حيث تتربّع الحالة الثقيلة .

لم يحن الوقت بعد

لكن الخنجر : مركز الكون وذراعه الحاسمة

ثقب الشمس ووضعها وساما على الكتف

التي أفلتت وتقدم الجميع

## شجرة

( 1 )

من الدم  
كلُّ هذه العظام المتحاربة  
بين فكّي كلب .  
أيها الإنسان  
ترفق بحطام شجرتي .  
لقد أضرت الفؤوس بالهياكل التي صنعها لي الربيع  
أيها الإنسان  
ها أنذا ، مع مائدتي المزهرة  
بين السكاكين والملاعق  
أجلسُ كيفما تشتهي الكلاب .

( 2 )

ليس هناك غير هذا الكرسي  
شخصٌ ما ، إنحنى ،  
ثم لم يستطع التقدم على اثنتين فقط ..!

( 3 )

لكم أن تبدأوا المعصية ،

ولي أن أنهض بكامل عظامي .

لكم أن تبدأوا فخورين بأوسمة الطاعة .

وظلكم القصير تحت وجوهكم .

ولي الدهشةُ والفخرُ بالصباح الذي عرفته

أو الذي أنتظره .

لكم القرارات ،

ولي عافية الزهرة .

## الشرع

ما دمنا نختار نفس المكان  
ونجلس مقلّدين الحجارة  
فالشرع الذي رأيتَه اليوم قوياً وصلباً  
هو نفس الشرع الذي وضع يد السندباد على الجزيرة  
وسماها وطناً له .

\* \* \*

اليوم يتكرر مثل دقتين على باب  
والعنكبوت جلس يراقب شبكته الثقيلة بالحشرات  
والريح مثل الحصان  
دخلت غرفة النوم  
وأخذت تصهل هناك فوق المخدّة  
لقد غاب الرّبّان حينما بدأت الرحلة  
وانتصب الشرع على شقّ الماء الأبيض  
المفتوح أبداً لأخذ السفينة إلى البحر  
مرة أخرى  
هناك ، في البحر ، تطفو الأسماك الميتة

مثل مائة لسان  
أما البحارة المائة فإنهم رفعوا أبصارهم إلى الشمس  
التي جعلت الشراع ينبت في السماء  
وقد توقف لحظة  
حتى يرفع الحجارة الزرقاء  
من أجل حركة السفينة المستمرة إلى أمام  
دائماً هكذا  
يصغي الشراع لأماني الربان الجالس في غرفته  
مفكراً بالمرأة التي تنتظره  
لقد انتهى زمن القراصنة  
لذلك نام البحارة بكامل عضلاتهم  
حتى يستيقظوا مبكرين لتحية البلاد التي يصلونها  
غداً في الفجر  
ومثل حلم قصير وجد البحارة قيافتهم تستعد  
ويمرّ الربان رافعاً رأسه فوق النياشين على كتفيه وصدره  
متغاضياً عن الضجيج والأكفّ الملوحة له على الشاطئ  
متمنياً ألا يراه أحد



وهو يرفع رأسه إلى الشراع المنتصب  
الأملس منذ مئات السنين  
والذي قاد المعركة ضد البحر بنجاح  
\* \* \*

في الميناء  
عندما كان البحارة غائبين حتى عن أسمائهم  
غائبين عن الليل والنهار  
وكان الربان في أحضان امرأته الجميلة  
يصف لها مخالب البحر  
رأيت الصارية وحدها  
لقد أنهى الشراع مهمته  
وبقي الفراغ !..

## الكرسي البارد

اتّسع هذا اليوم بالهواء والشمس  
بالشجرة التي زارتني من النافذة  
بالعصافير التي مدّت مناقيرها إلى غرفتي  
اتّسع هذا اليوم  
يومي بكِ  
بكِ أنتِ

\* \* \*

خلفت على جدران غرفتي شكل حضورك  
وارتميت كالكتاب  
جاعلاً كل الأشياء الحيّة تقبل نحو أصابعي  
كي ألمس دورة هوائك الحاضر  
وامتداد عينيك الغائبتين

\* \* \*

ثم أيقظني الكرسي البارد  
على العصافير التي أفردتها صمتي على الشجرة  
على الشجرة التي أنصتت منذ عام لوقع حضورك

على النافذة التي دخلت مثلي ،  
وأطفأت الضوء حتى تمرّ أنفاسك

\* \* \*

هكذا يتّسع يومي  
وأنت التي جلست ساهمة  
هل حرّك يومي صورة الشجرة أمام ذاكرتك ..؟  
هل تردّدت مثل العصافير  
قبل الدخول إلى ضيق غرفتي ..؟

## امرأة

المرأة التي استيقظت هذا الصباح  
وخرجت للشارع مبتسمة  
كانت تفكر بالأشياء الجميلة التي ستأتي  
ربما غداً ، أو بعد عام  
مرّت هادئة  
على كلّ المقاهي  
والحوانيت  
والممرات الواسعة  
كما خطرت على المقاعد الخالية في الحدائق  
كان عند المرأة كلّ الوقت حتى تبدأ عملها هذا الصباح  
\* \* \*  
جلست بكامل زينتها  
وعطرها النادر  
ووضعت حقيبتها الفاخرة على الطاولة  
ونظرت للأوراق :  
أوراق ملونة ، وهواء ملون

أشياء خفيفة الحركة على شعر المرأة

وحول عينيها

وعندما رفعت المرأة ساعتها

ورأت الرجل الذي رفع ساعته

أحصت المقاهي

والحوانيت

ومقاعد الحدائق

التي مرّت عليها في كل السنوات الماضية

لا تسمع ولا ترى

أو هي لا تريد أن تسمع أو ترى

## المرأة والرجل

المرأة والرجل

هذان الكائنان ملء مدينتي الواسعة

أصغيت إليهما هذا الصباح

وعندما غادرت

نسيت تحيتي على المرأة

وما كان لدي العطر النادر

\* \* \*

لأشياء أورثني الحزن كمثل هذه المقاهي

وهذه الحوانيت

وكلّ تلك المقاعد التي ترك عليها الناس حرارتهم

وكلماتهم الخفيفة

لأشياء أورثني هذا العدا

مثل اليوم الذي يبدأ من آخره

وتجرّه الأشجار إلى خضرتها مثل عربة ...

غير أنني ، وعلى كتفي حقيبتني

وفي رأسي كامل البلدان

والقطارات المنطلقة  
أتوقف عَجولاً  
بين المارة النشيطين  
محدّقاً بالهواء الثقيل الذي يملأ عضلاتهم  
والبحر العريض  
الذي يأخذ زوارقهم للضفاف الحيّة  
\* \* \*  
هكذا يبدأ يومي  
بذرة توشك على الانفجار

## الأمني

دائماً نأتي متأخرين  
نقول متأخرين  
ننوي متأخرين  
وقبل أن نأتي  
بيوم  
أو ساعة  
أو دقيقة  
كانت الأشياء الجميلة هنا  
منتظرة وسخية  
أما الآن  
فقد انفرد الطير بجناحيه  
وريشته التي بقيت هنا  
على الشجرة  
مثل ثمرة منسية  
سوف لن تصبر حتى المساء  
\* \* \*



الطرق القديمة التي نوبنا تغييرها  
وصرنا لا نراها لكثرة تفاصيلها في ذاكرتنا  
الكلام القديم الذي نوبنا تغييره  
وصار الآخرون يسمعونه قبل أن نفتح أفواهنا  
والأبواب القديمة التي لم تبال بدخولنا أو خروجنا  
كلّ هذه الأشياء  
وجدناها في الساعة الخامسة من مساء هذا اليوم  
جاهزة بالحقائب  
وخريطة البلد الوحيد  
الذي لا ينوي تغييرنا .

## غداً

قبضتِ على البستان

قبضتِ على الأزهار

قبضتِ على شاطئٍ وأطلقت عليه البحر

دونك هذه الأسماء التي أزهرت

واتسع على قبورها الأوصياء

لا تغضبي

لهذا الكلام المؤرّخ بالناس المفقودين

فليس بيني وهذه النافذة غير الثياب التي سَتَرْتُ صَمْتِي .

\* \* \*

قبضت على ليله ووضعتة في خام فجره الطريّ

قبضت على الزهرة وأسكنتها صدره المرتعش

ثم ابتسمت للمرأة :

إنّه جهدها المتواضع على هيئة الشاعر ولياقتة

\* \* \*

أبدأ بعصاي التي نحتتها لي العادة

وأسأل هذا الغصن الذي فتح نافذتي

وتألق بين أصابعي ولساني

: كم سيطول جلوسي

ومتى تهدأ الموجة تحت الجسر ..؟

\* \* \*

لماذا تتطفي أيها الجسد العامر بالدم ..؟

ما الذي أفقرك وأجلسك في الدورة ..؟

غداً صباحاً ستجوع

وستحمل القطارات رائحة سجائرك الكريهة

## مهرجان الرجل

الرجل : من اسم ولحم ،  
من أشياء كثيرة وأوراق وكتابه .  
الرجل : يبدأ تاركاً بابه للآتي  
وأقلامه للصمت الحكيم .  
كلّ قطعة حجرية تصنع موتاً  
والعصا الجافة تنمو مثل شجرة على اللحم الطريّ .  
الرجل : موجع وسافر كالجرح ..  
كان أبي في يوم ما  
وولدي في يوم ما  
ثم دخلت الابرة وخيطها بين الشفة والشفة  
فالتصقتا بالأرض : وكانت التصفية كلها .  
\* \* \*  
أنت رجل تغامر . والبحر يفصل لك الرحلة  
أنت البحر في كفن الأيام القادمة  
استرح ، اذن ، قبل أن تدخل وتهدأ القيامة .  
ليست الشمس - شمسك وشمسي - غير حفرة من النار

هناك في أول الوطن .

\* \* \*

رحلة قليلة الماء على شفتي - والجمل انتهى .  
رحلة في الكتابة الجافة - لكنها الصفة التي قلدتنا  
الأوسمة .

وبينما البكاء هنا كالمتاع ،  
سيكون هناك الدم كله .

- آه ، يا صاحبي ، ليتني الصمت حتى أعبّر الشارع إلى  
المهرجان

فالخيمة انتفخت بالفطيسة ،  
وحول المقعد الفارغ آخر الليل ، جلست العائلة كلّها

\* \* \*

حصاني !..!

آه ... ما أروع الكتاب الجالس فيه !..!

## سفر

عندما احتملتُ  
لم تحتمل الشجرة  
غادرته منتصباً أمام انحناءة هذه الشجرة :  
شجرة السرو ذات السننتين .  
وأنا ، هنا ، أنظر لرائحتي التي بقيت .  
لرائحتي التي ربّما بقيت واقفة في منتصف السلم  
تماماً مثل حبل الغسيل  
وحركة يد الطفل على الجدران ..  
أنا احتملت ..  
ولكن خذلتني الشجرة !..

\* \* \*

في ذلك اليوم الغائم  
أو اليوم المشمس  
في هذه الأيام ... المتعجّلة بيننا  
يتحرّك هواء خفيف  
على ظل ورقة يابسة

أو حشرة مَيّنة  
إنها الرائحة العادية في كلّ البيوت  
وهو الليل العاديّ على كلّ الناس  
يدخل إلى المطبخ ويلمّ عشاءنا البسيط  
ويترك فوق سيجارتي لمعته الحمراء .  
هكذا أيتها الشجرة خرجتُ مُتكنّاً على حقيبتني  
مُخفياً طريقي وجواز سفري  
لا فرق .. أيتها الشجرة  
بين العتبة والسريير  
بين الظلّ والحشرة  
بين البيت والحقيبة .

## يداً بيد

يداً بيد

على هذه الحجارة الجارحة

ثم لم يتوقف غيرهما

هو وهي :

هي العجولة

وهو المتضارب

\* \* \*

أينما نظرت

وكيفما نظرت إليهما

سأجد رائحة أنفاسهما على شجرة

مثل برعم

أو هما

بين خطوتين قصيرتين

وكيفما انطلقا

تقاطعت أصابعهما المتحمّسة

ثم يتوقّف الطريق



ويكفّ المارّة عن الحركة

\* \* \*

على ثوبها الجديد

مسحت عرق كّفّها

ثم أخذت كّفّه المبللة

فهكذا يتصرف اللسان !..

\* \* \*

لست الوحيد الذي تطلّع إليهما

فها هي الشجرة المنتصبّة

تفرد تماسك أيديهما المبللة

## تقاطع

الرجل : مؤجّل وخصب ،

والدفعة الملساء ،

تجعل الرجل ينتمي لطينة الليل ، فيفتح فمه ويبوح .

.....

البذرة منسيّة على حافة الماء

هناك حيث يبحث الرجل عن مكان

يجلس فيه أو يموت

.....

الرجل والبذرة :

طريقتان للحصاد !!..

\* \* \*

العمر مؤاخذة

والحذاء المقلوب أربك وصولنا إلى الباب

آه .. لا أحد ..؟

فمن يعيدنا إلى الصمت

الذي ينتظرنا ، هناك على الكرسي ..؟

\* \* \*

لقد التّم الغبار فجأة ،

ونحن نتحدث

فمأ الكراسي التي جلست تستمع .

\* \* \*

أيها الرجل : أنت الذي ابتدأت

وأنا الذي انتهيت

لحظة السفر التي قابلتنا معا

هي أول ما أخذت أنت

وآخر ما أعطيت أنا .

## الحضور

ليكن السفر خاتماً ناصعاً في إصبعك  
ثم تطلّعي بي  
وخذني من بين أصابعي سفري  
أيتها القريبة مثل عطش الصيف :  
احملي حافتي إلى كأس مائك البارد  
ولتكن غرفتي طيّعة بكِ  
حاضرة كالسفر  
كلما تطلّعت بالسفر  
واويت إلى غرفتي  
مسكتني حقائبي  
وتدافعت عليّ رائحتك  
كلما تطلّعت بي السفر  
أويتُ إليكِ  
واتّسع بين يديكِ وطني  
وحضر رفاقي  
ملت مع الأشياء التي اشتيتها معي

ووجدت لها الطعم والرائحة  
وهكذا تمتلئ حقايبى بأشياءك يوماً بعد آخر  
كُلُّ مَنْا ينسى رائحته  
ويتذكّر رائحة الآخر  
اللجنة على حضورك الفاضح  
لماذا ..

لماذا تشتدّ السلاسل عندما تصدأ ..؟  
أرجوك

ثمّة ضوء ارتعش  
فضجت غرفتي بالحركة

## المطر الجميل

أخشى أن أسألكِ  
وأخشى ألاّ تسأليني  
بل ، ربما أميل ...  
ولكن إلى أمام  
لم أكن قبلكِ وحيداً  
لكني ، لن أحتمل الوحدة بعدك  
حبيبتي :

أخشى أن يَرَوِكَ على ملامحي  
عندما أجوع ، أو حين أغضب  
يبحثون عن السرّ في عيني  
عندما تقلّ رائحتكِ بين تفاصيل أنفاسهم  
وأنا ؟.. ؟.. ؟..

لقد تهيّأت بالبحر والخنادق والأشجار  
ضدّ الظلّ .

هذا المنافق بين صحبتين : الضوء والظلام .

\* \* \*

سيّدي

حينما أبقاكِ المطر الجميل معي

نسجَ حول أبوابهم الأسلاك ...

أنا الرجل المتزن على حافة سيف

أميل ...

أميل حتى يسندني صوتكِ

حتى يسند شمسي ظلّكِ

سيّدي : لكِ أنتِ

تتحني التماثيل ...

دون أن تتكسر .

القسم الثالث :

# صورة العاشق





## صورة العاشق

" عندما يفكر الأبطال بالمستقبل ، بينما ينشغل العشاق بالماضي ،  
فإنهم جميعاً يفكرون بشيء مشترك ، هو الجانب الجميل في الحياة ،  
وهم معاً يحتجّون على الهواء الفاسد والعممة المتفشية .

ربما يحلم الشعراء بجعل عشاقهم أبطالاً ،  
لكنني أحلم بجعل كل الأبطال عشاقاً .

فعندما يجلس العاشق مع حبيبته لا يحدثها إلا عن وطنه ورفاقه  
... لكنه عندما يجلس بين رفاقه لا يحدثهم إلا عنها " .

\* \* \*

وجدتُ كَفِّكَ وأصابعك الأليفة

ولهذا ما ظننت ، أنني الوحيد

أكره الاختصار :

هكذا أصبحتُ

-

متفائلاً بتفاصيل رائحتك حولي

وحركة أصابعك على جبھتي .

من السهل الإمساك بالحجارة والبحر

مثلهم جميعاً ،

هؤلاء الناس

اللائذون بالشجر والحشمة

لكن ، في ليلتي هذه :

لماذا أبو وحيداً لا تليق بي شجرة

ولا يملأ كفي البحر ..؟

\* \* \*

لم أشهد تكرار الفجر ،

كانت السجائر تنتهي لأنام .

أريدك ، بكلّ عنفوانك مستسلمة لي .

آه ... أيقظتني الأنفاسُ

فاسترخيتُ للريح

تُعيد غطائي .

\* \* \*

أخبيء وراء سنواتي ، وحدتي التي اقترفتُها بدونك

أنتِ الضاحكة .

لم تغاضيتِ عن كلّ هذا الصمت ..؟

لم خبأتني عندك ، مثل طعنة محتملة

أو مثل ثمرة مؤجلة ..؟

أحبك .

لستُ محتمياً بأحد

ولا مائلاً كظلّ

لكن منفرداً بيدي وأظفري التي نبتت من أجل الهواء .

أحبك

لستُ مؤجلاً موتي

لكن به ، أتقدّم طاعناً أيّامي بالأشجار والاحتفالات .

أحبك

هكذا وحدي

من أجل ألاّ يجهل بك أحد .

\* \* \*

مهما تحضرين

سأخاف من غيابك .

\* \* \*

حبيبتي

لن أوقظك هذا الصباح

ومهما حاولتِ ،  
فسأبقى مصرّاً على سماع حلمكِ :  
عن المصاعدِ المتوقفة  
والرجال الذين يحفرون الخنادق ببدلاتهم الزرقاء ..  
لن أوقظكِ  
حتى تضيء المصاعد  
ويكتشف الرجال السماء .  
\* \* \*

أنا الرجل العادي  
المعروف مثل كل الجرائم  
أفكر بالأشياء التي تليق بي من أجلكِ  
ليس بين يديّ غير الرغبة الذي أشتهيته هذا الصباح .  
لكنهم ، هؤلاء المجهولين ، أمسكوني بأسنانهم  
حتى سقط الرغبة ، تاركاً بصماتي مفتوحةً عليه  
كرأسٍ فوق مقصلة .  
\* \* \*

لماذا أقربكِ ، وأجعلكِ عطشي

لماذا ...

تركتك تَهْدئين وتطلقين عليّ أشجارك .

ومهرجانات عمركِ الفتى ..؟

أنا الغاضب .

هل رأيت كيف حملتُ غضبي منكسراً

في كل الأماكن المتباعدة .

كي ألمس شيئاً من ظلك .

\* \* \*

أيتها الحمقاء :

يا ذات الريش .

أيتها الغبية مثل خطواتي إليك

مثل قناعاتي .

لست وحدك التي أثنت حياتي بالمستقبل

بل ، كل هذه الخضرة المضطهدة

وهذه العروق الجافة .

\* \* \*

حينما فارقتُ صمتك ، وألقيتُ ظلي على الرصيف

فارقْتُ ظلِّي على الرصيف

وفارقْتُ الرصيف .

كيف أهديتك الصمت وبحثُ بالكلام ..؟

كيف طاوعتني الكلمة ،

وأمرت صمتك يخاطبني ..؟

\* \* \*

ها أنذا أبدأ بكِ وأنتهي

ها أنذا أنتهي دون غضبٍ ولا حركة ،

صامتاً بين كفيّ

صامتاً بين حجرين جارحين .

\* \* \*

غداً ، أيتها السلسلة

غداً ، أيتها الحقيقة

غداً ، أيها السفر ...

هذا يومي :الذي ردَّ عنقه وجناحيه

مثل طائر يتأبط نهاراً أبيض .

\* \* \*

بك ، تأجلتُ

وأويتُ إلى يديّ الخاليتين .

\* \* \*

بك اكتفيتُ بعافيتي .

لماذا تخيلت صمتي ، إذن ، عاجزاً عن البوح

وظننت غرفتي وطناً كافياً للهواء ..؟

\* \* \*

لك أن تحملي كلامي المعبأ بالسياط

لك أن تأخذي غرفتي ..

لكن ، حينما أميل

احملي ، أرجوك ، صمتي إلى حقائبي

أو

إلى الرصيف

\* \* \*

سأذكرُ دون خشية

إلفتي مع وحدتي ،

حين أفتحُ في صمتٍ آخر الليل ،



حدائق وطني الصابرة

وحركة رفاقي

وسكينتي بكِ .

\* \* \*

أيتها المقبرة الصفراء

أيتها العذراء مثل الحيرة

لبستُ بكِ ثوب النوم ناوياً الخروج

ونمتُ بثوب احتفالي ..!

\* \* \*

بيضاء

كلّ أصابعي الطليقة في هذه الغرفة .

\* \* \*

لأبد أن يتأتى شخص وحيد

قبل أن يدفع الباب ،

إلى ليل غرفته .

\* \* \*

لكل هذه الأشكال

لكل هذه الفاكهة المحطّمة بين أسناني وصمت الدائرة

يجيء لها فجأة طنين حشرة

ويجعلها قاسية على سريري .

\* \* \*

عندما أطفأت الضوء

قاتلت الحشراتُ الظلامَ على وجهي .

\* \* \*

الأغنية التي أخذت العصفور معها ، للشمال

نسيت قفصه مقللاً في الجنوب .

وهكذا ، بين شمال وجنوب

لا تتلاقى الأغنية بالعصفور الطليق .

\* \* \*

أتمّ الشاعر مرثيته التي بدأها قبل سنوات

ثم جلس أمام سريره المرتّب

وكأس شايه الحار

حائراً :

ما الذي سيفعله بعد الآن .

## فانتازيا الانتظار

ثلاثة أيام قادمة دفعة واحدة

عليّ

أنا الوحيد كشوكة

بين أزهار أياّنا الماضية .

\* \* \*

اللعنة

هل أنا وحدي لهذا الحدّ ..؟

\* \* \*

أكرهك

كانتظاري لك

\* \* \*

افترقت

بين يديّ المتشابكتين

\* \* \*

اقتربي

بكامل افتراقك عني

\* \* \*

أقاومُ في صمتكِ

كلامَ الليل

\* \* \*

مَنْ أَنْتِ

لا أكثر من غيبية شمطاء

طائر بريّ

زهرة خاصة

شكل متواصل

ابتكار .

حركة فاصلة ، بيني وحدي

وبيني معكِ .

\* \* \*

تعالِي

كلّ شيء أصبح متهماً هنا .

الغابة

البحر

وثوبكِ الذي أهملتِ فراغه .

\* \* \*

ليكن الصوتُ صمتكِ

لتكن الحركة سكوتكِ

أيتها الجميلة :

ما أقبحكِ !..!

\* \* \*

سأترككِ وحيدة

جائمة مثل حركة خضراء

على سكون صحرائي الواسعة .

\* \* \*

سأصرُّ :

حتى تسمعي كل كلماتي التي أهددكِ بها

كل أشكالتي التي أبحثُ بها عنكِ !..!

\* \* \*

تعرفين أنكِ قبيحة

فلماذا تصدقين كلامي !..؟

\* \* \*

لا أريدك

فلماذا تأتين إليّ مع البهجة ..؟

\* \* \*

مَنْ أنتِ حتى لا أحبكِ ..؟

\* \* \*

أين السكون

بين يديّ ووجهك ..؟

\* \* \*

على جسم طائرنا

نحنُ أيضاً

نفترق مثل جناحين .

\* \* \*

أيتها الزهرة

تتزهى بيننا ..!

\* \* \*

كم من الوقت مضى منذ الأزل حتى اليوم ..؟

.. ربما كان الصمتُ كافياً لكل هذه الجرائم .

وأنا :

أخاف على الظلام في الكتب المعدة للأطفال ،

كما أخشى التفريط بالجروح التي تنتظرنني على يد هولاءكو .

\* \* \*

أعطيتُ هذا الصباح أوراقِي لبائع الدُمي

واسمي كذلك .

إنّه لم ينظر إلى هيأتي التي تشبهني تماماً

ولا إلى يَدَيَّ .

حيّاني ومضى يقوده كلبه الغاضب

\* \* \*

علّني أصبغتُ أكثر حذراً

أو أقرب إلى المنفى .

\* \* \*

وضعتُ حجارةً مستسلمة في طريق الشرطي

الشرطي أيضاً

ضحك للأشياء التي أضحكنتي

وأنا :

لا أريد أن أقف على يديّ

بل على رجل واحدة ،

من أجل التوازن في هذه المقبرة المترددة .

\* \* \*

مَنْ منا أكثر سعادة

أنا

أم الطفل الذي يلهو بأصابعي ..؟

\* \* \*

أعرف أن يوم الجمعة هو يوم الجمعة الماضي

لكنني أفكر

بالحلول التي يسرقها طفل بين جمعتين ..!

\* \* \*

لي من بين هذه الطرق المستقيمة

منعطف واحد ..!

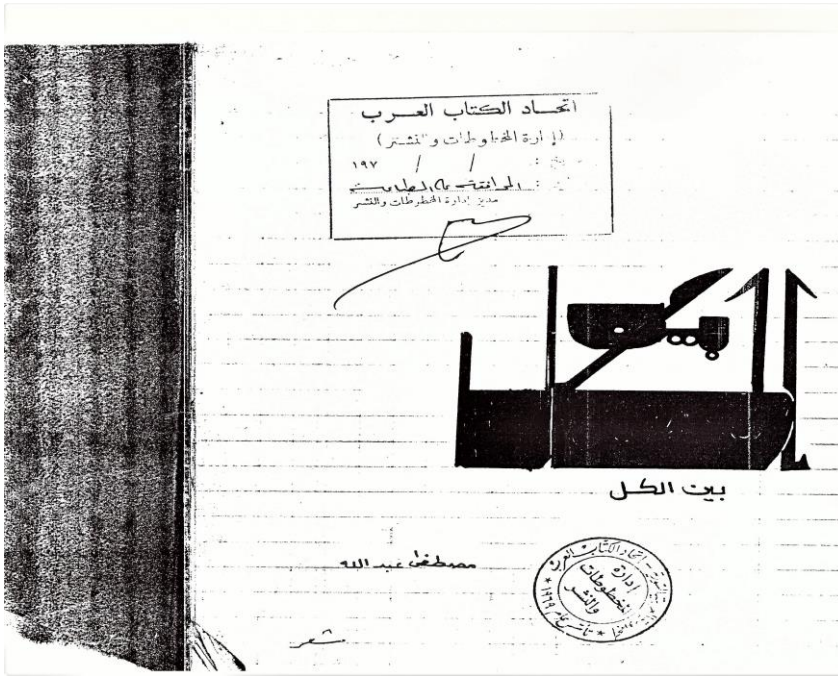


القسم الرابع :

# بَيْنَ الْكُلِّ

ملاحظة لا بد منها :

كان الشاعر قد أعد مجموعة شعرية بعنوان (بين الكل) وقدمها إلى اتحاد الكتاب العرب في دمشق ، وأجيزت المجموعة فعلاً بيد أنها لم تنشر ، وأسباب ذلك لا تزال مجهولة بالنسبة لنا . وقد توزعت قصائد هذه المجموعة المذكورة بين ديوان (مكاشفات ما بعد الرحيل) الصادرة عن دار المدى في دمشق عام 1999 والمجموعة الشعرية الحالية (الأجنبي الجميل)



مرثية

إلى أبي.....

الذي أهدى لحبيبي الورد .

أمسكت حياتك كالمنجل ،

وفتحت على الشجر اليابس ماء الجدول .

في شمس القَيْظِ ،

مكشوف الرأس .

أسرعت تغطي الشجر الغضّ .

... انظُر :

يتأرجحُ عُمرُك في الحبل المشدودُ

ما بين الفم والدود ..!

يا عبدالله بن الملا حسين

لا تخلع نعليك ، فأنت أتيت إلى الدنيا ،

محمولاً فوق يدك .

\* \* \*

عند الباب .

وَقَفَ الْأَطْفَالُ الْآتُونَ إِلَى الْقَرْيَةِ بِالسَّيَّارَاتِ .  
كَانُوا عَطْشَانِينَ ، التَّمَّوْا سَرَبَ عَصَافِيرِ .  
حِينَ أَتَيْتَ :

مَنْحَنِيًّا تَحْتَ الْعَاقُولِ وَمَلْمُومًا بِقَشُورِ الطِّينِ  
تَرَكَ الْأَطْفَالُ الْمَاءَ ، انْتَشَرُوا سَرَبَ عَصَافِيرِ  
حَتَّى سَقَطَ ( الْجُورِيُّ )<sup>(1)</sup> عَلَى قَدَمَيْكَ

\* \* \*

تَتَهَضُّ قَبْلَ غِيَابِ النُّجْمِ ،  
وَالكَلْبِ النَّائِمِ قَرَبَ رَمَادِ الْحِرَّاسِ .  
تَسْعَلُ مَخْتَنَقًا : بَدُخَانَ السَّعْفِ الْمُغْبِرِّ  
وَجَذُوعِ النَّخْلِ النَّدِيَانِ .  
لَكِنَّكَ ، حِينَ يَدُقُّ الرَّعْدُ عَلَى الْأَبْوَابِ  
تَتَسَّى بَيْنَ يَدَيْكَ الْخَبِرَ ،  
تَلْمُ الْحَشْفَ الْمُنْشُورَ عَلَى الدَّارِ  
وَتَسُدُّ عَيُونَ السَّقْفِ .

---

(1) ورد الجوري .

\* \* \*

يَتَنَقَّلُ فِيكَ

العَرَقُ المِلاصْفُ حِوَل العِينِين

وَجِرُوحُ الحَلْفَاءِ السُّودِ

يَتَنَقَّلُ فِيكَ

عَافُ الحِوَانَاتِ المِنْتَظَرِه

وَدِوُونُ التِّجَارِ .

يَا عِبْدَ اللَّهِ بِنِ المِلا حَسِينِ

كَيْفَ تَكُونُ :

رَائِحَةُ الأَرْضِ المِحْرُوثَةِ وَالأنْهَارِ المَكْرِيَّةِ ،

مِن رَائِحَةِ " التَّمْوِينِ " \* المَالِحِ والشَّايِ البَائِتِ ..؟

هَلْ كَانَ العَمْرُ رَدَاءً مَفْتُوحاً .

تَنْزَعُهُ فِي البَيْتِ ، وَتَلْبَسُهُ لِسُوقِ ..؟

\* \* \*

فِي آخِرِ يَوْمِ ،

كَنْتُ وَحِيداً تَجَلُّسُ بَيْنَ يَدَيْكَ الهَامِدَتَيْنِ

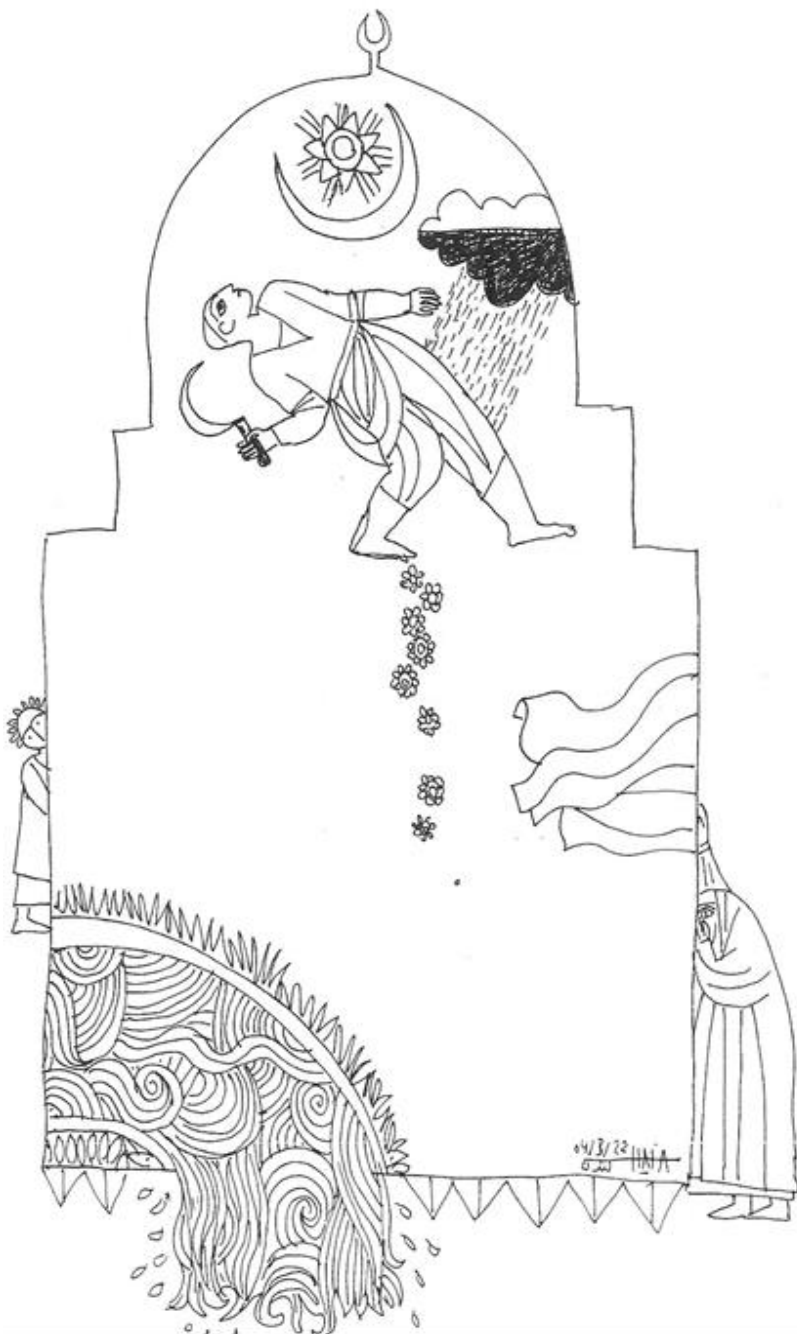
\* خِيزِ التَّمْوِينِ تَسْمِيَةً تَطْلُقُ عَلَيَّ نِوَعِ مِنَ الخَبْزِ رَخِيصِ الثَّمَنِ والنُّوعِيَّةِ.

في آخر يومٍ ، في المستشفى :  
كانت أدوائك منتثرة :  
الجسدُ المكشوف على الأرض  
القدمانِ الحافيتان ،  
والكفُّ المفتوحة قربَ الشعر الأبيض .

.  
.

يا عبدالله بن الملا حسين  
لَمَلَمْنَا أَمَلَاكَ فِي الْخَامِ الْأَسْمَرِ  
وَعَبَرْنَا الشَّارِعَ ، مُنْتَصِبِينَ .

1976



## الدلهيز

في ساعات الظهر  
تكسرُ أقدامُ الأولاد زجاجَ النهْرُ  
تطلقُ رائحةَ "الجولان" \* على أجنحةِ الحشراتِ  
.. تتقوَسُ كُلُّ القامات .

في ساعات .

\* \* \*

هل وقفوا قربَ "الحفرة" هذا اليوم  
أصغوا لغناء العمِّ حبيب  
أو طلبوا أن تبقى المسحاة على إصبعه  
واقفةً لحظات..؟

\* \* \*

عند تمام العصر،  
تتصلَّب أقدام الأولاد ،  
داخل ( جزمات ) \* الطين .

لن يتذكَّر طفلاً

\*الجولان: نبات مائي يستخدم كعلف للحيوانات.

\* \* جزمة : حذاء من البلاستيك الأسود يتميز بعنقه الطويل .

في أيّ زمان جاء حبيب ،  
كي يطمر هذه الحفرة بالطين ،  
أو يحمل ماء النهر إليها ..؟  
لا يدري طفلٌ :  
كم عرق سال ،  
حتى زال الملح من الأرضِ وخضرتِ الفاصولياء ..؟

\* \* \*

عند غيابِ الشمس  
خرج الأولادُ من الماء  
شدّوا ( الدشداشاتِ ) \* ، مُدلاةً فوق حواجبهم  
وانتظروا قربَ التنور .

\* \* \*

طفل يجلسُ فوق سرير  
الخبزةُ بين يديه  
يفركُ عينيه

ويحدّقُ بالقمرِ المكسور .

\* الدشداشة : لفظ يطلق على ثوب طويل .



\* \* \*

ما بين الدربِ الحار

و " الحوشِ " الحار

دهليزُ باردٌ .

علّق فيه الأولادُ مناجلهم

وتدلّت طاساتُ الماءِ

- يا أولادُ

مَنْ يجلبُ للأبقار حشيشاً

يجلسُ في دهليز الشيخ إبراهيم .

مَنْ يأتِ بمنجله معه ،

يأخذُ طاسةَ ماءٍ بارد

وقامةَ ظلّ .

\* \* \*

طفلٌ أقرع

مشقوق ( الزيق ) \*

لا يشبع من إصبعه المالح

\*زيق القميص : ما احاطة بالعنق.

تدفعه الحيطانُ إلى الحيطان

يرميه الحرُّ إلى الدهليز .

مَنْ سدَّ الباب

هل أكلت أسنان الصيفِ الظلّ

هل لبست هذي الحيطانُ الظلّ ..؟

للرأس الأقرع ظلّ .

تتناوبُ فيه

أقدامُ الطفلِ .

\* \* \*

- يا أولاد

لا تأكل أبقارُ الشيخ إبراهيم الحلفاء .

شمّت رائحةَ الفاصولياء ..!

\* \* \*

كم خوَّصَ في وحلِ الأنهارِ من الأولادِ

في هذا الظهر ..؟

كم يكفي من شوكِ العاقول لأقدام الأولاد

في هذا الظهر

سترنُ الطاساتُ بقعرِ إناءِ الماءِ  
ويكونُ الحرُّ كبيراً .

\* \* \*

هل تأكلُ أبقارُ الشيخِ وحولاً حمراءً..؟

أولادٌ يستلقون

أولادٌ يشتعلون

أولادٌ ينطفئون

أولادٌ حلَّ مناجلهم تعبُ الأولادِ .

..

..

فلنتوقف قربَ الحفرةِ

نصغي لغناءِ العمِّ حبيب

ونمسُّ يديه الجارحتين .

\* \* \*

سارَ الأولادِ

وقفَ الأولادِ

- يا أبقار الشيخ إبراهيم

لماذا رائحة الفاصولياء ..؟

مَنْ يتوقفُ قرب الحفرةِ ..؟

مَنْ يبست شفتاهُ وسالَ الماءُ الأخضرُ ،

حتى انعقد الثمر النافر مثل الطفل ..؟

..

..

سار الأولادُ .

وقف الأولادُ :

للريح عويل .

يرتعشُ الغصنُ ،

هل جرح الأولادُ أصابعهم

أو قطعوا غصن ..؟

\* \* \*

عند غياب العم حبيبُ

تتسع الأرضُ الجرداءُ بقدر خطي مرتعشات

عند غياب العم حبيب

ينتظر الماء الطاساتُ

..

..

قد يخدرُ ضلعُ في صدر حبيب

أو ترمش عين

لكنّ الأغصانَ المجروحة

تمتدُّ فراشاً للضلعِ الخادرِ من صدر حبيب !..

1977

## دورة آل إبراهيم\*

نائمة على ذراع البحر

محنياً تحت سهام الريح والغبار

تصدّر البرسيم للمدينة

وتشتري الخضار ..!

\* \* \*

عباسُ ليس جائعاً

ولم يكن لسانه ممدّداً في الباب

لكنه منقطع بين الدكاكين التي أقفلها حياؤه ،

والمسبحة .

\* \* \*

كانوا بظلّ الجامع الصامتِ والجسز .

منذ طلوع الفجر .

منذ زمان البحرِ ، جالسين .

\*\*\*

هادئة :

يا دورة إبراهيم

ضاربة ما بينهم والملح  
يا دورة إبراهيم  
لو تنزلين بينهم في الصباح .

1976

\*قرية صغيرة تقع في جنوب البصرة ، تسمى حالياً ناحية البخار.

-2-

اللجنة على هذا الحضور  
الفاضح .  
لماذا تشتدّ السلاسل عندما تصدأ ..؟

## النزهة

لماذا ينزل أولاد " الحيّانيّة " \* قبل وقوف الباص ..؟  
ويقتسمون مع الحرّ ، سريعاً ، أبواب البارات  
وأسواق الخضر والساحات .  
وحين تنام الشمس على الطرقات  
ينتصبون رفوفاً للبارد والحلويات ..؟

\*\*\*

لا أدري

كيف ستحلو النزهة ،

بين الأشجار وأولادِ الحيّانيّة ..؟

1976

\*الحيّانيّة: حي شعبي في محافظة البصرة .



## خبز التموين

يتمشى في الطرقات المجهولة من دائرة البلدية  
يطرق أبواباً تعرفها الشرطة ،  
والصيفُ القائنُ .

خبز " التموين " صديقُ الآتين إلى الدنيا  
بعرائض .

## صباح العطلة

من أوّل الليل ،  
بين ضجيج الأَسْرَةِ فوق السطوح ،  
وبين هياج الصغار ،  
تراخى ونام .  
وفي الصبح ، كان الصغارُ يفيضون في الطرقات  
ولكنه :

حينما شالَ عينيه صوبَ العماراتِ  
مائلةً فوقه  
تكوّمَ فوق السريزِ  
ولمَّ عليه يديه وقامَ .

## يوسف يلبس النظارات

لا يُبصرُ أبعدَ من أنفه  
ولكي يفهمَ يوسفُ كلَّ الدرس  
يتبعثر فوق " الرحلة " ، تحتَ السبورة  
مثلَ الآنيةِ المكسورة

\* \* \*

ما كان العامُ ككلِّ الأعوام  
جاءَ الطلابُ ليوسفَ :  
وضعوا النظارات على عينيه :  
كانت لامعة مثل حذاء طبيب القرية  
يلبسها كلُّ الطلاب  
ينزعها كلُّ الطلاب  
يوسف منتثرٌ بين الطلاب

\* \* \*

حتى باب الصفِّ  
لم يلبس يوسف " سترته " وحذاءه  
يا يوسف ، لم تأتِ أمس

ولماذا تغسل في البرد حذاءك ،

وقميصك مبتلّ بالماء ..؟

\* \* \*

يوسف يبحثُ في " الفرصة " عن شبرٍ للشمس

يوسف لا يفهمُ في هذا البردِ ، الدرس .

## الولد يبيع الماء البارد

- أولُ طاسةِ ماء  
كانت للصباغِ الجالسِ يرقبُ أحذيةَ المارينِ
- ثاني طاسة ماء  
يتقاسمها طفلان
- ثالث طاسة ماء  
شطفت امرأة فيها وجه صبي
- رابع طاسة ماء  
قلبتا امرأة غاضبةً لم تلتحق بالباص
- خامس طاسة ماء  
انتظرتُ بين يديه  
حتى فرشتها الشمسُ عليه .

## الراقصة

تلهثُ فوق الحلبات  
تتداخل في فجواتِ الأذرع  
تتقاطع بين الشعرِ الكثِّ ورائحةِ الأسنانِ

..

لكن الجسدَ المائل للظل  
لم تحمله العربات .

...

صعدت بالعينين  
بالعين اليمنى . والعينِ ( الجام ) \*  
صعدتْ مبتسمه  
لدخانِ الملهى الرطب ، وألوانِ الأضوية المحتشمه .

غنّت لقناني البيرة  
لكراسي الملهى المقلوبه.  
للليل الواقفِ عند الباب!..!

\*الجام : لفظ شعبي يعني الزجاج .

## الولد الضال

كان الولدُ الضالُّ يغني  
حتى انتعشَ المارونَ ،  
وسدّوا فمه بالخبز  
وحين تراخى فوق المصباح ضبابُ الليل ،  
وهوَّامات الليل  
انقلبَ الولدُ الضالُّ على الاسفلت :  
مفتوحَ الفم .

## امرأة

جلستُ في الظلمةُ ،  
ومدّت ساقيها للضوء .

-3-

وقفتُ : فابتسمتُ لي  
الشيخوخة  
فحجلتُ وتدافعتُ .

### 1- تنوينة

نَمَّ  
السُّكَّرُ عند الخبَّاز  
والماء  
في ضرع البقره  
نَمَّ  
الخضرة في ثوب العيد  
والحسرةُ في الشجرة  
نَمَّ .  
وَحَدَه في البرِّ عليل  
العاذلُ والليل .



## 2- حلم

أحلم أنّ أبي طاسة بلّور  
يكسرها شبحُ أسود .  
كيف ستشربُ أمّي الماء ..؟  
أحلمُ أنّي في الباب  
ملمومٌ مثل أبي  
ودخلنا بسلال العنب الرّيّان  
لم نجلس  
أعطوني ماء وفلوس .  
أحلم أنّ أبي لم يأخذها مني في الدرب .  
أحلم أنّي درهم  
في جيب أبي ،  
يذهبُ بي للسوق  
فأفئق !

### 3- الفجر

جَلَسَ الفجر  
فوق جناح العصفور الملموم على الأسلاك  
منتظراً خبزَ التموين ،  
وقطارَ البطِّ الذاهبِ للشط .

1976

#### 4- علمدار \*

تطوفُ الشموعُ المضاءة في الليل حول القبور  
فتفتحُ الأرضُ للنور .

" علمدار " أثى الشجر

قوائمه وركبت الحصان .

يقولون : عدت مع الفجر

يرفُ عليك العلم .

توضأت بالسدرِ والآسِ ، صليت بالميتتين

وأغلقت باب المقام .

: علمدار

مرادُ العقيمتِ والمتعبين

علمدار للخائفين

علمدار للغرباء وللغائبين .

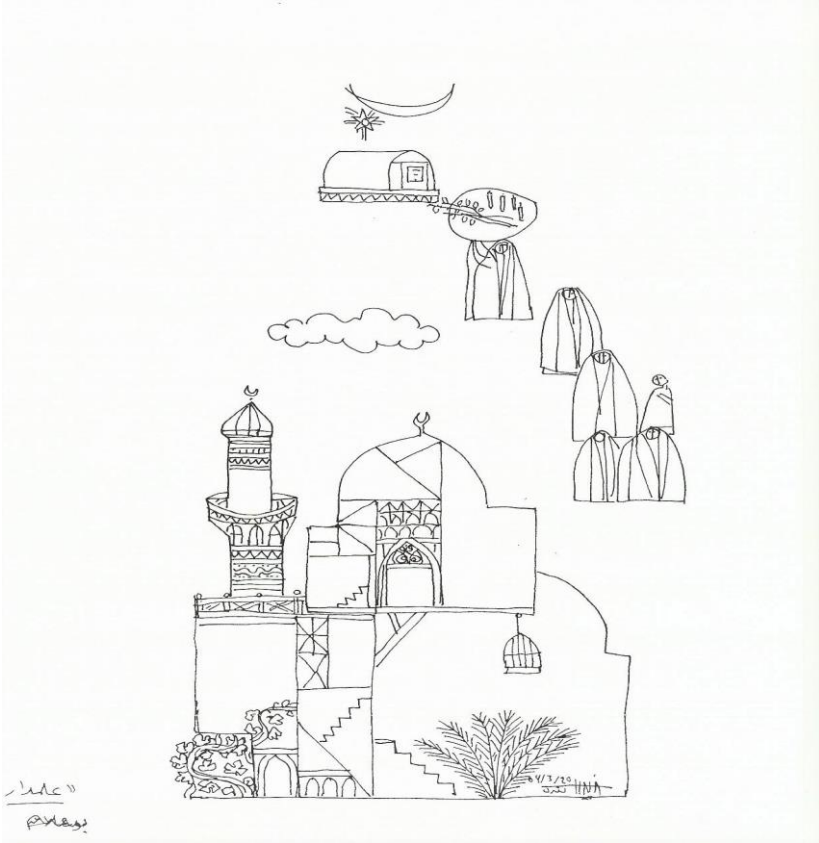
\*\*\*

علمدار

هي الريحُ حول المقام

\*علمدار : مرقد ومزار للأحد الصالحين في أبي الخصيب أحد أفضية البصرة.

تلّم الغبار  
وتمسح كلّ القبور  
يقولون : كان المقام بدون حصير  
وكان على الأرض قفلاً  
وبابٌ تصفّق فيه الرياح .



## 5- مدرسة المحمودية

نُطِلُّ على النخلِ منها  
تَرْفُ " دشاديشنا " ، ثم نهبطُ محترسين  
ونلصقُ أوجهنّا في الصباحِ على مرمرِ الأعمدة،  
ونلمسُ تيجانها حذرين .  
يدور بنا خزفٌ يتموّج فيه الضياءُ  
تدور بنا الشمسُ فوق الزجاجِ المُحَبَّبِ  
تلوّن أوجهنّا والدفاتر .  
تدور بنا الكلمات المزججةُ الزرقُ فوق الحجر  
ويمسكنا البابُ : يحرسه أبنوس الصقور .  
... فهل مرّ " محمود بيك " هنا ،  
تثناءب تحت النقوش الفسيحةِ ..؟  
تُرى كيف مدّ يديه  
ليمنحنا بيته مدرسة ..!؟

## 6- وحدة

كان بقدر الإصبع  
لكن " أبا حخيور " لم يدخل للكوخ بقامته الممدودة .  
كان وحيداً بين عصاه ولحاف الجوت  
يدبُّ صباحاً تحت جناح السَّعْفِ اليابس ،  
وجناح الحَلْفَاءِ  
قالوا : مات  
قرب الخبز الملفوف بكوفيته  
ما خلّى غير مرارته  
في الخبز وأكوابِ الشاي .

1976

## 7- هروب

يفتح عينيه على الأغطية البيضاء ،  
والمرضى الغافين  
وبدون كلام  
يلبس دشاشته ، يمضي  
عن ذيل الشمس الأصفر فوق الشباك  
ورائحة الأشياء المُرّة  
حتى يفتح كاظم صرّته  
بين ضجيج الحمّالين  
والعربات المهتزة خلف الخيل .

## 8-أفراح

يلمُ الحطبُ ،

ويرقصُ كاظم :

بين انحناءِ النساءِ على الجمر

وبين الصحونِ المليئةً بالزاد

ثمّ ... تملُّ الطبول .

وينطفئُ الشمعُ خلفَ الستائرُ

..

على الجرفِ دشداشةً ونعال .

وكاظم يشطر مدَّ المساء ،

ويكسر في الماء وجه القمر .



## 9- جيران

نحنُ الجيرانُ

لم ننظر لِبَنَاتِ الجيرانِ

لم نتوقف قَدَامَ الأبوابِ المفتوحة

نسرعُ حينَ ( ترشُّ ) بناتِ الجيرانِ

نحنُ الجيرانِ

لا نرمي حجراً وقت الظهر

أو نرفع أعيننا للسطح

نحنُ الجيرانِ

## 10- ولاءم

نَعْرِفُ أَيْنَ يَرُوحُ " كَرِيمٌ " .

يَصِفُنَ لِحِظَةً .

وَيَعِضُّ عَلَى ذَيْلِ الدُّشْدَاشَةِ ،

يَرِكُضُ كَالطَّلَقِ .

يَنْبِطُ بَيْنَ الْمَدْعَوِينَ

يَلْبِطُ فَوْقَ صَحُونِ الْأَكْلِ

...

حِينَ يَغِيْبُ " كَرِيمٌ "

نَتَوَقَّعُ ( فَاتِحَةٌ ) \* أَوْ عَرَسٌ .

1976

\*الفايحة: مجلس الفاتحة

## 11- الملاء

تأتيه النسوة ،  
بديوك سود ، وتراب من قبر صبي .  
بسلاسله المعقودة فوق الأرض ، يحلّ السحر ،  
ويفتحُ للدنيا الأبواب .  
الملاء :

في الدكان الرطب ،  
حلّق ذات مساءً مثل غراب .  
مُدَّ عَاطت\* بين يديه البنت  
والتَمَّ الناس ،  
مثل الوسواس .

1976

\*عاطت : صرخت

## 12- قناطر

أزیزُ القناطرِ في الليلِ ،

يُفردُ فوقَ ( الصرائف ) \* كل الدجاج ،

ويُنبح كل الكلاب .

قناطر منخورة

قناطر مهجورة

قناطر مشطورةٌ للمواقد .

نراهم يجيئون في السفرات

يشقون صمت البساتين

ولكنهم يصمتون

ويبقى أزیزُ القناطر .

1976

\*الصرائف: أكواخ القصب

## 13- شريعة

أخذَ المدُّ

من بين أكفِّ النسوةِ ماءَ الصابونِ

وسخامِ قدورِ الطبخِ

وطشيشِ الصبيهِ

والبطِّ المفروشِ الجنحينِ!..!

1976

## 14- أغنية

يا طعم النعناع  
يا أنية الفضة .  
طيري بالمنديل .  
أنفاسي دَفَعْتُ فوقَ البحر  
أبلامَ الناس .  
سأميلُ عليك  
يا عودَ " الياس " \* .

1977

\* الياس : الأمس .

## 15- العصر

جلسَ العصر ،  
طيراً منتوف الريش  
منتظراً أن يهدأ دلو  
أن يُشْطَف وجهه  
أن يمشي ظَهْرُ محنيّ تحت حشيش ..

-4-

كَلَّ مَنْنَا يَتَذَكَّرُ رَائِحَةَ الْآخِرِ ،  
وَيُنْسِي رَائِحَتَهُ .

### فاضل حميد

ما أرخص ،

من أن تجلس في المقهى كل مساء ،  
تشرب شاياً ، وتردّ سلاماً عابراً .

\* \* \*

حين توقفت السيارة ،

وترجّل كل العمال

نفضت ثيابك عن بقع ( الجص ) الناشف

وانطبق البيت عليك .

وحين توقفت السيارة ،

دأبت الطفل العائد من خبز التموين .

أطفأت السيجاره ،



وصعدت وراء العمال .

: هل تدخل " جلاب " (1) مع الليل

وتغادر " جلاب " الفجر ..؟

\* \* \*

طفلاً يتوقف :

لا يطرده الشرطي الواقف عند الباب ...

وخرجت خفيفاً ،

بنعالٍ اسفنجي ، وفراشٍ ملفوفٍ بحصير .

: هل تذهب ،

لتزاحمك الوحدة في المقهى ،

ويطولُ الشارعُ بالمخبرِ خلفك ..؟

..

لم تخرج أوراق السدرِ الصفراء إلى العتبه .

وانطبق الباب وراءك ...

البيتُ المسدودُ يسلمهُ المخبرُ للمخبر .

-: نَعْرِفُ مَنْ كَانَ يوزَعُ أطفالَ الجيران ،

---

(1) جلاب : محلة في مركز قضاء أبي الخصيب ، حيث يسكن "فاضل حميد".

بعد أذانِ المغربِ ، للشتمِ على الحيّطان .  
-: أذكرُ أني كنتُ بـ (باب سليمان ) (1) ،  
أسهرُ حتى الفجر .  
أو يأتي عبدالدايم .  
كانَ الصيَّادون يمرّون  
فوق زوارقهم والتيار .  
لم تغلق يا فاضل باب البيت  
ونسيتَ تودّعني ومثّيتَ .

---

(1) باب سليمان: محلة في مركز قضاء أبي الخصيب.

## مُداهمة

تضيّقُ الشوارعُ من ضجّةِ البابِ خلفك منطبقاً ،  
قافلاً دورةِ الابتسامةِ في وجهِ طفلتك الواقفة ،  
معَ النومِ دونِ حذاء .  
تراخيتَ عند الرصيف  
يُداهِمُكَ الصمتُ بين فكوكِ العماراتِ حولك -  
والعرباُتُ : حقاُئُبُ سوداءُ ، تأتِيكَ مسرعة  
تتوقّفُ عندك مفتوحةً ،  
وترحلُ منطبقه.

## وطن

لقد هبَّتِ الرِّيحُ مغْبِرَةً .

ولكنْ

على غصنِ بغدادَ ،

خضرتَ كالورقه .

## بور سعيد الجديدة

لم يخرج للبحر الصيادون  
ومراكبهم ،  
بقيت كالأحذية المقلوبة .  
خمسة أيام ،  
لم يرمش ماء .  
خمسة أيام  
وقعت فوق البحر بدون كلام  
وقعت فوق سواعد عمال الشحن وعمال التفريغ .  
وقعت عند الأبواب وفي المنعطفات ،  
بين أكفّ الصبية والحلويات ..  
وبعد سكوت القصف ،  
ونزول الأعداء للسرسة والجبانات<sup>(1)</sup>  
انفجر العمال ، الصيادون ، وطلاب الكليات  
تحت الدبابات  
بين ثياب " ستوكويل " وجلده

---

(1) السرسة ، الجبانات : أسماء مناطق في بور سعيد .

## إصرار

عند الساحل  
سقط " جواد "  
وَجَدَتْهُ الدوريات  
مجروحاً تحت الكِتْفِ ومنزوعَ العينين  
ضربوه ،  
فتحوا قرب الماءِ دَمَهُ .  
لكنَّ جَواد  
مقفولاً مات  
فانفتح الشطُّ له ،  
مضمومَ الشفتين .

## رحيل

كان ضوء الطريق

بارداً مثل عيني

صامتاً

تماماً ، كما شئتُ أمتعني ورحلتُ .

## تاريخ

تعالى انظري ماءً بغداد يملأ الكأس للنصفِ .

تعالى انظري :

هذي الأكف

عرقانة في الكلام المريح

وفي كلّ هبة ريح ،

تميل شواربها ،

ترتجف ،

فتضجُ ،

وتهتف .



## قصيدة

سنواتي للزهرة والطين

سنواتي

للأشكال المنصوبة في ليل سجين

للدّم الأزرق بين أكفّ الجلّادين

سنواتي

للسرّ وقامة هذا الماء

للسرّ المتكبر والأعباء

سنواتي

للطير الأبيض

والبيت الحيّ .

## الأمويّ

صديقي الذي مرّ ، كان صديقي ، ولكنه كان مبتسماً  
حين مرّ ولم يلتقت .

صديقي الذي مرّ قبل قليل ، وأخفى جريدته ، قافلاً  
فوق عنوانها كّفه : - لماذا

- لماذا تجاوزني خلفَ كتفٍ ، تبادلَ موقعه معها ولم  
يلتقت ..؟ .

صديقي :

أتذكر كيف تأففت في آخر الليلِ ، قلتَ : الطريقُ حجازٌ  
ومستنقعاتٌ تفيضُ بقيءِ السكارى ، وماءٍ غسيلِ المطاعمِ ،  
يسترها الليلُ عنّا ، ونسترها بالتمنيّ ..؟! أتذكر ، كيف تجاوزتني .  
تذُرُّ عليك الرياحُ غبارَ العماراتِ أسودٌ  
وتنهضُ رائحةُ الضوءِ فوقِ المجاري ، فتسرِعُ .  
هنا في الطريقِ توشُّ الرياحُ ، وفي الشرفاتِ يوشُّ  
الهواءُ المُبرّدُ .

وأنتَ الذي كان يبحثُ عن خاتمٍ ، ثمَّ يفركه  
فتأخذُ كلُّ يدٍ حقّها .

وتتهضُّ في الأرضِ دورِ الحضانهِ والمكتباتِ  
ويتسَّعُ الأمنُ والطرقَاتُ .

تجاوزتني ، قلتَ ، تسخر مني : تدبّون مثل الشيوخ  
على زمن لا تُدير رجاه العُصيّ ..! ألا نلتقي ..؟  
تشاغلَت عني بابِ النقابهِ ، في السوقِ ، حين  
اصطدمت بكنتي ، اعتذرت . رأيتُكَ مرتبكاً بعيون  
زميلك ، حدّقَ بي والجريدهُ .

وفي الليل ، وحدك كنتَ ... الشوارعُ خاليهٌ فهممت  
تقبّلني (!) ثم قلتَ : ألا زلتَ ، لم يضعوا في قفاك  
العصى . وقلتَ : عرفتُ العقودَ التي يملأُ الابتسامات  
فيها صديقُ المقاولِ . والخشبُ الساجَ يلصفُ<sup>(1)</sup> بين  
إرتجافِ الدوائرِ في القِيظِ . قلتَ : أنا الفردُ .  
والملكُ المستريحُ الذي لا تطولُ عليه التقاريرُ ،  
أنا الحرُّ ، عندي مفاتيحُ كلِّ الحدودِ ، أشدُّ  
جناحي غداً وأطير ..!

....

---

(1) يلصف : يلتصق بشده .

تُرى كيف لم نتسع للزحام ..؟  
يضائقنا في الصباح الضجيجُ ، وفي الليلِ ،  
يُقلقنا صمتُ هذي الشوارع ..!

....

صديقي الذي مرَّ قبل قليل  
يجفُّ مع الصيفِ ...  
يهطل عند الشتاء .  
لماذا تخيلته في الزحام خطى تتوازي ،  
وفي الشطِّ فضلةً ماء ..؟  
لماذا تخيلته ،  
على شجري ورقةً في الخريف ..؟

1977

## المأوف (1)

بادلني جاري بدلته  
وطريقته في الأكل وشرب السيجاره

بادلني زوجته ،  
وعناق الأطفال .

بادلني صبره

بادلني قبره

\* \* \*

أنت المطعون

الآخذ شكلي

الآخذ دوري

في النوم وفي التوقيف .

## المألوف (2)

- نُسرِعُ بالخبز .
- نُسرِعُ قبل اليقظة والنوم .
- نسرِعُ قبل الليل .
- قبل السكين .
- قبل التهمة .
- قبل الفتنة .
- نسرِعُ بالعرق المغشوش .
- قبل الصمت .
- قبل الصحة في قلبِ الطفل ،
- ظلَّ وحيداً بين الكلّ .

## ثلاثة أيام

( صباحاً ، أخبرته جدته ، أن أمّه وأباه سافرا إلى بغداد .  
وسيعودان بعد ثلاثة أيام . عصرأ ، ترك أصحابه ، وجاء  
إلى باب المطبخ ليسأل جدّته " .. ألم تنته الأيام الثلاثة !.. " .  
ثم بعد ذلك ، كان يمضي أسبوع ، شهر .. فجأة ، كان  
يدخل البيت راكضاً ، ليسأل عن الأيام الثلاثة : ألم تنته !..؟ ) .

-1-

أوقفه الرجال عند الباب  
فشدّ قبضتيه ،

محترساً أن يأخذوا التراب من دكانه الصغير ،  
أو يقلبوا جيوبه الثقيلة .

هل شاغلوا التراب عن دكانه

وأبطلوا البكاء في دموعه ، فقال :

عن اسمه ، وأخرج الحصى

من جيبه ، والسماك الميت والكبريت .

-2-

أقعدته الرجال مرتين

لم يأخذ الحلوى ، وظلّت بينهم وبينه والباب

لم يأخذ الحلوى ، وقال عن أبيه  
عن أمه ... التي ينامُ وحده  
وقال حتى ...

فرّق الرجالُ كَفّه والباب  
فقال عن دكّانه الصغير  
والسمكِ الميّتِ والكبريت  
\* \* \*

لم ينزل القمر  
في هذه الليلة للفراشِ  
لم تلبس النجمةُ مثلَ كل ليلةٍ ثيابها  
تستقبل الآتين من بغداد

-3-

ما كان غير بائع "الموطة" والصغار  
ما كان غير أحمد المعنوه قرب الجسر  
والسمكِ الميّتِ في النهر  
وكانَ لا يزال لابساً حذاءه  
ولا يزال ثوبه الأزرقُ دون طين



لم يَرَهُم  
لكنها أرجلهم  
لم يفردوها حول وجهه ، فرَفَّ وحده  
والذهب اللاصفَ في أكفَّهم ..!

....

هل شاغلوا التراب عن دكانه  
وأبطلوا البكاءَ في دموعه ..؟  
هل قال أن القمر البعيد  
سينزلُ الليلةَ في فراشه  
وتلبسُ النجمةُ مثلَ كلِّ ليلةٍ ثيابها ،  
تمشي إلى محطة القطار ،  
تستقبل الآتين ..؟

...

لكنه الليلةَ ، نام وحده ولا يزال لابساً حذاءه  
ولا يزال ثوبه الأزرقُ دونَ طين

## الرحيل

حين خَرَجْتُ  
أخفى عني الطين الناشفَ بين جيوبه  
ثمّ تقدّم يسبقني ...  
حين خرجتُ  
وكنْتُ خفيفاً مثل الطير الناشف  
أخفيتُ وراءَ الظهرِ حقيقه

1979

## الجثة

في ليلة أمس

نشط الطقس

كان ظلامُ الغرفة مُحترماً ، لم يمسه الضوء  
وقد خرج العمالُ نظيفين . وسدّوا البابَ الأسودَ  
والشباكَ الأسود ، دونَ ضجيجٍ ، غيرَ أصابعهم  
وحفيفَ الورد .

كانت في الأعلى قربَ الله ، الغرفة كانت في الأعلى .  
العمالُ أنيقون بعطرٍ واشٍ وخواتم (لاصفة<sup>(1)</sup>)  
والقمصانُ منشأة والبدلات السوداء مهيأة يلمسها  
الضوءُ فتشمخُ دونَ صرير .  
أبيضُ هذا الوجه النائم بين الوردِ ، نظيف  
وأنيق كأمر ... أبيضُ بين الحيطان البيضاء .  
أبيضُ هادئ قربَ الله ...  
فتوالى العمالُ الخمسة كالنقرِ الهادئ فوق الباب  
سدّوا فمه بالقطن الرطبِ ، فلم يتحرك طرفٌ

---

(1) لاصفة : شديدة اللعان .

فيه ، حتى ارتفعت " جوزته " تحت أصابعهم وانحطت ،  
وتراخى شيء في فمه .

كانت غرفته في أعلى . كان وحيداً قرب الصمت .  
وفي ليلة أمس ،  
فكر بالشمس ...

ورتب شرفه الأبيض ، أحرق أوراقاً ، ولعل  
رسائله لم يحرقها ... خشية أن يمسكها العمال  
النشطون الساعون .

الجسد الحافل بالصمت الأبيض ، والزهره تدبل ،  
تدبل تحت الحاجب مثل الجفن . ورائحة الصابون  
الناشف تتشف بين اللحم وأصداف الإبهامين .  
خرجوا للشارع . كان الفجر سخياً فوق شواربهم ،  
لاشيء تنفس . تم الفعل خفيفاً كالغمزة ...  
كالنملة تحت حذاء كاتم ... تر للاً تم .  
تم ، تتمم ... تم ... تتمم ... هز الكتفين .

## غرفة خارج الوطن

أخفيتُ نهاري في المقهى  
وأكلتُ ، شربتُ ... وكان جوارِي رجلٌ يبكي  
والشمسُ تمدُّ من البابِ إلينا مندبلاً أبيض .  
لا أدري كم يومٍ آتٍ ، كي أرتاح  
خبأتُ كتاباً ، لم أصبر حتى خبأته .  
والشيءُ الباقي في الغرفةِ كان فراشي ،  
والشاي نسيته .  
أما قمصاني ، فكّرتُ بأن أتركها أو أعطيها  
للبحر .  
هذي الأشياءُ المرّة تحضُرُ في الليل وقبل  
النومِ فلا أهتمّ ...  
اليومُ الباقي خلفَ اليومِ الباقي ...  
حتى أرتاح .  
اتّسعتُ حولي خطواتي ، والليلُ الضاربُ  
في الطولِ يطولُ ، فينبجُ كلبٌ ثم يبول  
أريد ... ولكني أعرفُ أنّ الرغبة في الليلِ

متاعُ الكسلانِ ... تمنيتُ لو أني أدعو كلَّ  
الجيرانِ ضيوفاً عندي الليلةَ ... حتى  
أدركتُ الكلبَ يبولُ ، فغافلني ومضى  
مندساً في الليل .

ليلَ نهار

وطني في الغرفة يجري  
أتركه يَعرَقُ فوق فراشي

ليلَ نهار

مثلَ النهار .

## النزهة

مطرٌ أبقاني ، فخلعتُ ثيابي ، بعد الصبر

ريحٌ بغبارٍ ، أبقنتي ، فخلعتُ ثيابي ، بعد الصبر

شمسٌ حارقة ، فخلعتُ ثيابي ...

أناسٌ يمضون ، يجيئون ، وأشكالٌ ، خلفَ الشباكِ المغلقِ تتحلُّ

وتبدأ أشكالٌ يمسحها الجأمُ ويجعلها فوق الحائطِ قربي رائجة

تلهو بالصبر .

أبقى . لا أقدرُ إلا أن أبقى .

أقدرُ أن أخرجَ في الريحِ المغبرةِ ، والمطرِ الفظِّ ، ولكنَّ العمال

السريين بقدرِ كراسي الأرضِ وقدرِ مقاسِ القاماتِ

وقدرِ حواسِّ النبضِ .

أعرفُ أن النزهة تجعلُ أيامَ البشرِ الدوارين تمرُّ ولا تشبه

أسنانَ المشطِ ، فتنبسطُ الضرباتُ على الأوجهِ ، والأسنانُ

تظلُّ لتكفي للأكل .

-5-

هذا البيت  
أستطيع أن ألعب فيه مثل طفل أو حيوان أليف .  
وهذه هي ملكيتي .

دعوة متولي عطية لحمل السلاح بعد انتهاء القتال.

-1-

تواعدني مصرُ ، تكبر  
فقد ألبستني الشعاراتُ آخرَ أنبائها  
:- لا تخف ، إنّ مصرَ الجميلة ألقَتْ مظلتها  
ومخملها ، ثم جاءتك حافية القدمين .  
ستأخذك الآنَ تحتَ عباؤها ، ثم تمضي  
... تعلّمتِ الآنَ رائحةَ الطين .  
تواعدتُ فيكِ  
وكانَ الطريقُ إليكِ عسيراً ومستوحداً .  
ولم أكنُ مَيِّتاً ،  
ولامسني الاحتلالُ ببابكِ :



ينترعُ اللافتاتِ من الواجِهاتِ الحكومية

يفرِشها ، ثم يجلس .

تضجُ المدارسُ بالجند

يضجُ مقرُّ الأَفنديه

تضجُ السويس

-: لا ترتجف ، إنَّ مصرَ المكحلة ، الآن تعرى

فللمِّ متاعك ، أطبقْ على مصر عينيك

يا مصر ، ما بيننا ، كان هذا الرغيف

وقد كنتُ خمسةَ أفئدة ، لم يحن صيفُها

فأحتواني الرصيف .

\* \* \*

إن الشوارع تمتدُّ صامتة تحت وجه القنيل

ولا ينحني أحدٌ ..

ثم مرَّ الجنود

لقد كان وجه القنيل القديم ، الجديد طرياً

وفيه الملامحُ مكتومةً

\*

: فارم هذي الجريدة من يدك الآن ،

يا " متولي "

تمسك بمصرَ التي في الحدود .

## " شهادات حدود مصر عام 1968 "

\* - الشهادة الأولى :

الاسم : محمد محمد العياط

السن : 23 سنة

عدد أفراد الأسرة : 7 أفراد

الملكية أو الحيازة : 3 أفدنه

- : [ إسرائيل ستأتي وتعسكرُ فينا .

ولذلك أطلبُ تحديد إقامةٍ مَنْ يملكُ أكثر من خمسة أفدنه

يعني أن المجلسَ في القريةِ

والجمعيه

ملكُ الفلاح الغلبان .

وضروري أن يدخل في الجمعية بعضُ العمال الأحرار .

تشكو قريتنا من دودِ القطن

و " محمد أفندي جاب الله "

مأمور المخزنِ في قرية " طهواي "

بدلاً من قرشٍ ساغ . عن كل جنينه

يخصم عشره

مشغولُ ببناء " الفيلا " الآن ،  
وأعطى " مَهْرًا " بحدود الألف . [ .

\* - الشهادة الثانية :

الاسم : السيد عليوه ابراهيم

السن : 62 سنة

عدد أفراد الأسرة : 4 أفراد

الملكية أو الحيازة : نصف فدان .

-[ إسرائيل تخافُ الحكم الثوري

لكنّ وقوفَ العمال مع الفلاحين الفقراء

قد تركَ البرَّ سليماً

" لا يجرؤُ أن يجري ماءً إلا في السهل "

إسرائيل

تخشى أن يمسكَ أبناءُ الفلاحين

بالجمعيةِ أو بنك التسليف .

فأنا أخشى أن ينتظر الفقراءُ عطاءَ الثورة

كلَّ العمر

وليس سليماً أن يأخذَ ابنُ الإقطاعي -

- بخبرته في المكتب - قوت الناس .

كتّاب الجمعية ، والأمناء ، وسعُرُ المحصولِ الرسميِّ

يجعلُ مصرَ بعينِ الغلبانيين خساره

فأرى أن يمسك بالختمِ المكودين

حتى يلتئم الشمل

وتصيرُ حياةَ المصريِّ حياة .

\* :- الشهادة الثالثة :

الاسم : عبدالفتاح إبراهيم ناصف

السن : 55 سنة

عدد أفراد الأسرة : 5 أفراد

الملكية أو الحيازة : فدانان إيجار .

[ ولدي جنديُّ عادي

عاد من الحربِ بدونِ ذراع

وإسألُ عن ابنِ العمدة / والعمدة ..؟

حين تحدّثَ عبدالعاطي عن تهريبِ الأرضِ ،

وعن تهريبِ الأبناءِ عن الجنديّة ..

عن سرقاتِ القطنِ ، اتهموه

أصبح عبدالعاطي ضدّ البلدة  
أصبح ضدّ البلدة كلُّ الشغّالين بقرية " سندوب" .

إن كنت تريد الحقّ فنحن هنا  
لا نطلب منكم أن تأتونا بجلابيب مزركشة  
أو ماء بارد .

لا نطلب غير سماءٍ يكفي الأرض  
وعَافٍ يكفي الحيوان  
عافيتي :

لا تكفي أن أدخل باب الجمعية  
أو أطلب عدلاً في الكسب .  
نرجو :

أن تأتي مصرُ  
إلى البندرِ والقرية .

\* الشهادة الأخيرة :

الاسم : الشحات أحمد محمد جوهر

السن : 21 سنة

عدد أفراد الأسرة : 4 أفراد

الملكية أو الحيازة : 3 أفدنه .

[ ستغلّق في وجهي الجمعية أبواب الرزق

ويتبعني البوليس

وأخبركم أن البوليس يجيّد الضرب

لكن أسألكم ماذا تعني الحرب ..؟

هل تخشى بلدتُنَا أن نتعلّم كيف الحرب !..!

أسألكم ماذا تأخذ إسرائيل من الفلاح العطلان

ماذا ستضيف إلى همّ و جوع الفلاح الغلبان ..؟

نرجوكم أن تكثُر في الجبهة رُوح الشعب .

كانت بريطانيا في " البرّ الغربيّ " تعسكُر في بيت العمده

كان خفيّر العمدة يحرسُ بيت الجنرال

وأخبركم أن العمدة أوّل مَنْ شمّ هواء الجمعية

وتغدى في بنك التسليف .

وتكلّم في مكتب قرينتنا

ماذا يتبقّى من مصر .

هل مصرُ الآن لنا ..؟

\* \* \*

بعد العدوان

وضعوا صندوق شكاوى في باب القرية

وانفتحت أبواب الجمعية .

كانت مصر ملوثة الجدران

كانت مصر تطل على الفلاحين من الأضوية المخفية .

...

سقطت أسنة الفلاحين

وتجاور كل الصمت .

-2-

## وجه متولي صوب المستقبل

ما بين جلابه ويديه ،

وبين الجنود الذين استراحوا بحضن القنال ،

تسير البلاد الكبيرة .

فمصر ، بعينيك تكبر مثل الدموع -

يا متولي . وقد فرش الاحتلال الشعارات

مقلوبةً عند باب " الجنائين " ...

لقد فرش الاحتلال الدموع التي سرقت قدميك



ببَابِ الجنائين .

...

محلولة مصر بين الجميع

مفتوحة كلّ صحراء مصر ..

تَمَشَّ ،

فقد وقع القمرُ الآن نصفين عند الجنائين .

إنّ القنال

ينزلُ للبرِّ فوق البغال

بعيداً عن السدِّ ...

و " المقبراتِ " الجديدةِ ...

... والاحتلال

ومصرُ الصحيفةُ تمنحكِ البندقيةَ : يا متولي -

نصفُ جراحك محتلة

ونصفُ جراحك معتقله

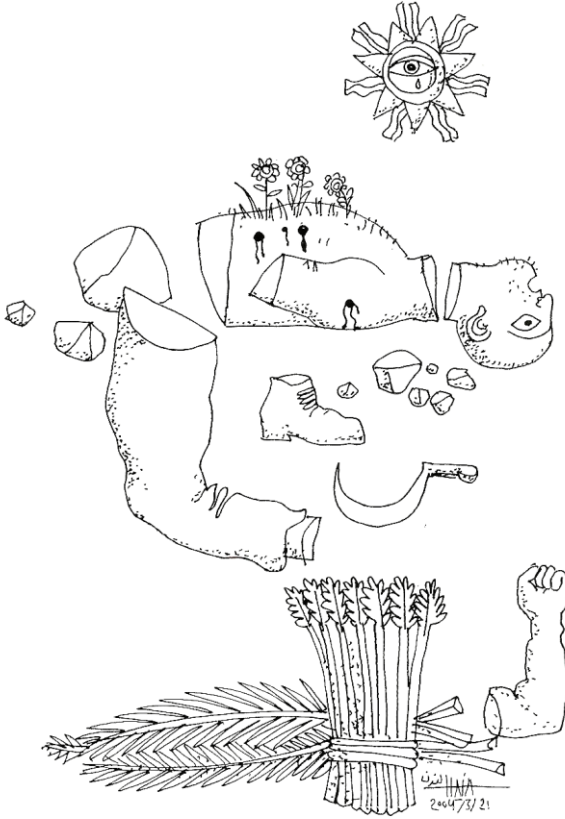
يا متولي :

الجميعُ يضجُّ بهم صمُّهم ، والأغاني

تلبسُ حرَّ البراري

وتمشي .

1974



- دعوة متوكي عطيه . محمد ابراهيم

## ليل الخبز

- إخفض كَفَيْكَ لتصنع غابة فرسانٍ وكلاب .
- إنهض للأبيضِ في ليلِ الخبز .

يفتحُ لي النومُ العَنَبَه

لتعود يداي ، وتجلس قرب عصاي .

بعصاي أخبّيء آثاري .

أفتحُ باباً بثيابي ، اخرجُ للمطرِ الخائف .

\* \* \*

لا أعرف كيف تَنَفَّسْتُ ،

بين يديّ الضيقتين ..؟

\* \* \*

ما إسم الخنجر بين لحاء الرقبه .

ما اسم الناجين من الماء .

ما اسم الآباء الماشين .

ما اسم الأبناء الآتين .

ما إسم القبر ...؟

ما إسم الشفتين ،

والكتفين المخلوعين  
ما إسم الكفّ العاطلة ،  
والصلعِ السافر .  
ما إسم الأسنانِ المفتتحة .  
ما إسم الهمسِ الواطيء كالشمس ..؟  
\* \* \*

دمٌ فوق الباب  
يَطْرُقُ  
يغلق نافذتي ،  
يجلسُ فوق سريري مفتوحاً كعروس .

-6-

لي سعادة السجين  
وحزن السجان

## 1- كتاب عباس بن فرناس

مَنِّي ،  
ولا يتقرب  
ولا تتقرب ربح الشمال  
فليلي شيخ  
وقلبي عصا .  
ابتليت بهذا الحبيب  
إذا جاءني صار عندي جناح  
وتحتي سحابه  
وعشي النسيم الشمال .

## 2- كتاب أبي العلاء

بين الشموع المضاءة والعثرات

ضللتُ طريقي

فهل جئتِ كي تأخذي بيدي

اتركيني -

أنا ممسكٌ بالحبالِ التي تُوصِلُ -

والمسيني .

\* \* \*

أأنتِ التي ما ينال الأمير

ويحني الفقير ..؟

أنا : سيدي

عصاي

وكلُّ انحنائي لِقبري .

### 3- كتاب ابن رشد

بينَ بابي وسيفِ الأميرِ  
اهتزرتِ  
فألقيتِ ظلكِ في البابِ ،  
ألقيتُ ظلي .  
وحين اغتسلتُ ،  
ورثتُ بيتي  
تركْتُ النوافذَ مفتوحةً للصباح .  
فلم تنطفئِ شمعتي .  
متى يطرقُ البابَ جندُ الأميرِ  
لكي يحرقوني على كتبي .  
فأمسِ اغتسلتُ .  
أنا لا أضيءُ الرمادَ بناري ،  
لماذا تحيرتِ مطفأةً ...  
بين قلبي ونارِ الأميرِ !؟..

## 4- كتابي

أتيت إليّ مع البرد .

وحيث

رأيت

شتائي

ارتجفت



هو

-1-

هكذا ،

أعتدلُ على الكرسيِّ المائل .

بين أسنانٍ حاشدة ،

ووجوهٍ مسنَّنة ...

"إنهم يضعون على الجدران

صور الأعضاء المفككة

إنهم يضعون كلَّ شيء في مكانه :

الأظافر في منبتِ الرموش .

والخواصر بين الكلايب .

تأتي أصواتهم من وراء رؤوسهم .

يقفون ، مستعينين الواحد بالآخر

يقاومون ، من أجل أن تبقى

أظافرهم وأسنانهم برّاقة ...

وهو يرى قمصاناً وأحذيةً منتفخة

فهذه أصابعه العشرون

هذه عضلاته الناحلة .

وهو بكامل شهيقه وزفيره ،

يجلس مُعتدلاً على الكرسيّ المائل .

\* \* \*

أنتَ تعرف ، كيف تنتفخ أوداجهم ،

عندما تتضاءل مطاميرهم أمامَ ابتسامتك .

وكيفَ تتكاثر الشواربُ بين أكفهم ،

عندما تقلُّ قاماتهم بالبحر الذي آلفَ عينيك .

أنتَ تعرف الظل ،

هذا المنافق الكبير ،

بين الظلام والضوء .

تعرف الخبز المتّسع كالحرب

والناسَ المسرعين كالعربات .

أنتَ تعرف الصمت

والكلام المؤجل حتى يحضر الغائبُ العزيز .

-2-

عندما أدخلوه إلى غرفته الضيّقة ،

ضاقت بهم غرفهم .

\* \* \*

o لماذا يكون السقف بهذا التدني ،  
عندما يقف .

وتكون الأرض بهذا العلو ،  
عندما يجلس ..؟

o بين أكفهم الشياطين ،  
وعلى جلده الجروح ،  
فلماذا يشكون ..؟

o لماذا يرتجفون  
عندما يجسّون ثيابه المبلّلة ..؟  
o لماذا يصرخون ، مجتمعين  
على صمته الوحيد ..؟

## أرق

نحنُ . خالقي المتعة المشبوهين .  
نضحك مكتشفين مهرجاناتٍ صغيرة ،  
بين أكداس أعمارنا المضطَّهدة .  
نحن المنسيين . أحياناً . في غرفِ المحققين  
نطالبُ الآخرين  
بالتوجُّهٍ للحدائقِ والجلوسِ مع الخبز .  
نبدو : كأننا ننسى  
كأننا أمسكنا بقطارٍ بشريٍّ وأطلقناه على قرية مهجورة  
كأننا حجارة متوجهة  
نبدو : كدبوسٍ أضاعتهُ السلطةُ في فراشها !..!

## كورال

ما أفرحتني أغنيةُ البهلوان  
لكنني سأردها أمامكم :  
أنتم الذين استيقظتم مبكرين مثلي  
وتهيأتم لحفلةِ المساء .  
استمعنا إليه يغني فوق الحبل .  
وعلى ظهر الحصان الجامح .  
استمعنا إليها آتيةً كقبضةٍ مُسدّدةٍ  
أو كأسنانِ مصرّةٍ .  
لم تكن مثل المراشي القديمة ،  
لكنها تلبس خنجر القيصر ،  
وتجلس بين خطب المهزومين ...  
هكذا وجدته واثقاً بالحبالِ المتوترة ،  
والخيولِ المؤدّبة .  
هكذا فتحتُ عينيّ على هيأته المتماسكه  
على ارتخاءِ عضلاتنا .  
كدتُ أجد أغنيته على فمي

لكنه قفز ، فاهتّر لساني  
وهمدت بين يديّ الكلمة .

\* \* \*

أمسنا البعيد ، لم يكن غير يومنا الماضي  
هكذا تأخرت أغنيته هذا المساء  
انتظرتم مثلي ، كي تروا أغنيته المهددة  
بالخنجر والنمرِ المعرّض للنسيان ...

\* \* \*

أخجلنا المسرحُ الذي بقي مُظلماً ...  
والبهلوان الذي أدار كرسيه ، وجلس صاغياً  
لأغنيته ، نردّها مجتمعين  
في القاعة التي بقيت مضاءة ..!

## القفل

أنتَ الأقوى مني بالسيفِ ، وبالعقلِ الحاسبِ أنفاسي  
أنتَ الأقوى بالآلاتِ الأتومية . عندي شيء مني في غرفةِ  
نومي ، والأشياء الأخرى تُعرفها من لحظةٍ ما أفتحَ عيني  
وأرى ، حتى لحظةٍ ما أغمضَ عيني وتراني .

# الخارطة

ها هنا ،

توقف المنفي .

ومنذ أن صار حجراً ،

فهو يعيش في وطنه .

( نيرودا )

## تقديم

العمال ، الطلبة ، الموظفون ، الأطفال ، النساء ، كلهم تعرضت ضمائرهم للإبادة فقد وقف هولاءكو بينهم والخبز .واكثر ، فقد تحولت الإبادة إلى صفة مطلقة صفة تعدت الإنسان إلى الحجر والوقت . أرادوا أن يتحوّل الإنسان إلى مجرد جسد وأربعة أطراف وأسنان . لذلك كتبت قصائدي دون انتباه لأي اعتبار آخر غير مقاومة هذه الإبادة ، وإعادة الثقة بالشيء الشخصي عند الإنسان : الحب الضجر ، الخوف ، القوة ، الضعف ... الخ .

المغرب ----- 1979/3 /27



## الحطّاب

حين استسلم الحطّاب لغضب الشجره

وألقى بفأسه وعَرَقَه

انتظم عليه تاج الصمت .

فتطّلع الحطّاب لحبال العناكب ، حواليه

وشكوك البراعم ، وانفجارات البيوض

وأخذه النعاس بعيداً عن الخبز وأيام الصغار

الذين يريدون أن يكبروا بين أصابعه .

هكذا بدأت تبتعد عنه الفأس

وهكذا فارقه ماءُ الجهد .

\* \* \*

يتابع الحطّاب تأريخه ، محنياً على زيت عضلاته

ويتابع جسارة عيونه ، منتصباً على حركة نهر أو امتداد جذر

وكلما ، دقّت الساعةُ ، أذعن الحطّاب لرتتيه المققولتين

وقلبه السويّ .

وتابع الحطّابُ أيضاً ، شكل الرياح

والموجة الملتفة

وخيلاء الأجنحة المتضامنه ،  
منصتاً للرحلة البيضاء ، التي تشقُّ هذا المجهول الأزرق .  
وتضع الهواءَ حوالي سهامها المستقيمة .  
يجيء الظل وينعس الضوء  
على قدمي الحطاب  
وقامته .

\* \* \*

استيقظ الحطاب في فجر ما ...  
وكانت الساعةُ تدق والأوراق التي أطلت عليه ، تلتفتْ  
والعناكب التي توقفت بين حبالها والفراغ ، تلتفتْ  
كل شيء أصبح يلتفتْ  
فأذعن الحطابُ إلى رثتيه المقفولتين  
وقلبه السويّ ،  
وبدأ يعرف الحكمة .  
وحاول أن يستيقظ على صباح فأسه  
وغضب شجرتَه  
. لكن الأطفال كانوا قد أزاحوا أصابعه

ولفّوها بالقماش الأسود .

\* \* \*

للحطاب الآن عشرة أصابع

ويدان ، وقدمان

لكنه دون فأس ولا شجرة

\* \* \*

ماذا أسميه ..؟

هذا الشيء أو هذا التاريخ البعيد في حياة رجلٍ ما ..؟

1979/2/25

## البستان

أرجوك ، قرّبيه إلى وطنه  
بأزهارك وعافية الضوء في عينيك  
بدون بلاد عامرة بدم أصدقائه المنتصبين  
تعرفين أنه قد يحترق  
أو قد يحرقه جلده الأدميّ .

\* \* \*

أرى هذه البلاد المتسعة بي  
مليئة بالصفات والتواريخ  
أراها متدلّية كورقة أو جناح  
أراها متّقدة بين أصابعي  
ومننقضةً تحت خطواتي  
أراها ، تأتيني ، بالشرفِ  
وهم ، هؤلاء الناس غير المعروفين  
الحادّين ، كالعاطفه  
هم ، لا غيرهم ، يأتون كلّ لحظة ، ويجلسون هنا  
- بيننا - بيني وبينك -

بمشانقهم ورقابهم المتدليه  
وقلوبهم التي أصرت ثم هدأت  
بأصابعهم ورائحة سجائرهم  
هم - لا غيرهم  
أورثوني ، أيضاً ، بحارهم العميقه  
ونوارسهم البيضاء  
أرجوك ، خطواتي التي افترقت  
ويداي التي تصلبت هذا المساء على خاصرتك  
مستجدة بك :

قربها إلى وطني المضرج بالدم والبترول  
\* \* \*

بهذا البستان  
وهذه المدينة الأليفه  
وأنت  
كم أنا وحيد ، وضائع .

## فراغ

أيتها المرأة ،

يا سيدتي

ذبلت باقة الزهر على طاولة فطورك

وأنتِ لا زلتِ غافيه

أما ألقيتِ أصابعكِ الدافئه ،

على شوق هذا الضوء الذي يقاتل على ستائركِ ..؟

أيتها المرأة

يا سيدتي

رحل الحراس ، وبقيت أشجارك في الحديقته دون عصافير

أتت كلها لتنهض معك :

غابة من أجنحه وحشداً من تحيات

أيتها المرأه

يا سيدتي

-ها انذا ، انتهيتُ من حلمي

ووجدت على نافذتي المشرّعة ، آثار العصافير التي غادرتني

وذهبت لتنهضُ معك

غابةً من أجنحه وحشداً من ترانيل  
أيتها المرأة  
يا سيدتي  
ملتُ مع هوائك فلم يسندني الفراغ  
ولا العصافير !..

1979 - 3 - 8

## قصيدة

لك الزهرة وعطرها ولونها  
ولي مجدها عندك .

1979-3-8



## المواطن

ضعي بين إختياري ورغبتك :

هذه المسالمة ،

هذه البلاغه ،

ثمة طيور وقعت على الماء

وتوقفت عن الرحله .

أليس هذا كافياً للبحث عن الضوء

الضوء الكافي لدورة الدم ..؟

\* \* \*

ضعي بين إختياري ورغبتك

كلّ التماثيل التي صنعتها للتذكير :

بهذه الطفولة المقامرة

وهذا الخبز الصابر .

ثمة أصابع منقبضة ،

وطرق مفتوحة على الهياكل والرماد ،

أتوجه ، باخلاً بك ، كي أضع بين يديك ممتلكاتي :

أيتها الرغبة :

يا مَلِكْتِي الملوّنة  
استجرتُ بغضبي ، ومواطنتي  
حتى تفتح البحر على شواطئ كلّ الشهداء .  
ثم آلفتُ الظلّ المائل ،  
والأنيابَ التي أتت لتسند الجثث  
وتوجل قيامَ المآتم .

\* \* \*

ها أنذا أفتح اختياري بجلدي الوحيد  
وقامتي المهيأة للتفجير .  
وما بين أصابعي المنقبضة  
تلتئم رغبتك العارِيه  
ومواطنتي .

1979 - 3 - 10

## زهرة للمواطن

- زهرة واحدة للمواطن -

أنا أو أنتِ -

وفي هذا البستان ذي الصوت اللامع ،

المحفور على لساني ،

لا تكثر الأزهار ،

بل تتسع .

\* \* \*

كلّما قرّبتك ابتعدتُ عنّي زهرة

وكلما ابتعدتِ ضاقت بي خطواتي .

على هذه الطريق :

ابتعدتُ واقتربت

منكِ وعنك

واحتملتُ وتحاملتُ .

\* \* \*

احتملتُ القاتل

فكيف أحتملُ القتلُ ..؟

\* \* \*

للزهرة المسنة

عزاء الجهد المتأول في الثمرة

لكن قاتلي يُريد أصابعي على هواه

ورأسي على طريقته

لا يريد شيخوختي

بل الزهرة التي انحنت لها شيخوختي .

\* \* \*

كيف لا أضيقُ بكِ -

أنتِ التي تراعين شيخوختي ..!

\* \* \*

إجعلني مواطنتي بكِ

وليست إليكِ

\* \* \*

حاربي من أجل جهدي الذي صنعته

كي يثمر ،

هكذا تعرفين :

لِمَ تجلس الحجارة لتصير تمثالاً خالداً  
ويصعدُ (هندال<sup>(1)</sup>) إلى المشنقه .

1979 -3 -15

---

(1) هندال : قائد نقابي تقدمي من البصرة .

## الخارطة

هذا اليوم أصبح في غرفتي منضدة وكروسي  
أمس اشتريت "السيكوتين" والمقصّ .  
يا أصدقائي أحدثكم على ورقة :  
لها حدود المقصّ والسيكوتين  
وعلى طاولتي خمس بطاقات بريدية  
ليافا والقدس وحيفا والناصره وبيت لحم  
أيضاً ، ألعب في هذا الفراغ  
مع الغرفة الباردة والشاي الأسود  
بيني والبطاقات الخمس احتمالات هذه الوجوه  
احتمالاتكم جميعاً واحداً واحداً  
الضائع والمعروف  
المختفي والذي وضع طريقته أمام رقبته العاريه  
دون أن أنسى أحد  
-حتى أنني تذكرت أسماء .  
- أسماء كنت أجهل أنها لا تزال معي  
ودهشتُ ، يا لكثرتكم معي

يا لكثرة هذا الدفء حول طاولتي  
وبعفوية نظرتُ لإبريق الشاي  
الشاي الأسود  
إنّه الشاي المُعدّ كما في العراق  
كما في الصباح  
كما في الظهر والعشاء!..  
لأريكم الآن طريقتي في اللهو  
ومتعة الأشكال التي تتناثر بين فكّي مقصّي  
ليافا والقدس وحيفا والناصره وبيت لحم  
وهذا الشيء الذي بدأ ينسجم بين ألوان  
البطاقات الخمس على خارطة  
التي تنقصها محافظات أخرى  
تنقصها بطاقات أخرى لمدن محتلة  
يكمل بها لهوي  
وتستقر وحدتي  
على خارطة هذا العراق  
المتبّت بالسيكوتين على طاولتي الفارغة

## المقايضة

لـ (فاضل حميد) وأطفاله الأربعة

يستيقظُ الخبز والشاي

والصباحُ الملبّدُ برجالٍ سرّيين .

وإذ تستعدّ الشجرة للشمس والماء ،

وتتفتح مناقير العصافير على الأزقة الضيقة

يقتسم فاضل حميد وزوجته الحاضرَ الوحيد

لهذه الوجوه المدوّرة .

أتذكّر صديقي

أتذكّره داخل " دشداشته " البيضاء

مُننَّظاً على خطواته الطويلة ،

بين بابين وشارعٍ وحيد .

لعلّ ملامحه تراحمتُ عليها أشكالُ المحطّات المتداخلة

لكن هذا المستقبل المكتوب على إظفرِ فاضل حميد ،

وأعضائه التي كانت تقاثل في غرفِ المُحقّقين

هذا المستقبل المربع

الذي يملأ البيت بالضجيج والساعات



يجعلني أُعيدُ التفكير: بالخدق والحفرة .

يا فاضل حميد

هل تسمع طنين هذا الذباب

المُنْدَسِّ في الأفواه الجائعة ،

مُدَّعياً أَنَّهُ يبتكر الخبز ..؟

هل ترى هذه المخالب المترددة

بين الشهيق والزفير ..؟

آه ..

كيف تنتهي العصي

وتطولُ المراوحُ بقاماتنا ..؟!

\* \* \*

الدور لهذه الزهرة

أن تجلس على صدر رجلٍ ما

يُلقي توقيعه على ورقة نايلون :

فترتدي الأبقارُ القبعات وتبدأ بالتدخين .

و يخرج السمك للتنزه على الشاطئ

ويصقُّ الجلدُ المدبوغ بالسياط

هكذا يتأول الحزن والفرح  
هكذا تتأول السيوف المثلثة ،  
عندما تلاحق الحليب والأمهات .  
هكذا تتأول الشرايين أمام الكهرباء  
والتكنولوجيا التي تجرش الأسنان .  
أيها النهر ،  
كيف قابلتني بشفثيك المفتوحتين  
وانتصابهم عليك ..؟  
يا صديقي  
إجلس الآن هادئاً كقطعة ، أو كجزء  
راعياً الغبار فوق أصابعك  
خارجاً عن تفاصيل هذا الخط المستقيم  
المعلق بين صمته وشفثيك  
الرابط بين شفثي جرح  
العاجل بين التهديد والإعتراف  
أيتها العافية ،  
يا ذات الطعم الكريه وشكل الإعدام .

الأجنبي الجميل

وهو كذلك :

خندقٌ لمناكير أربعة

أغلقها النوم .

1979-1 -7

## الجنّازة

... إلى محمد مطرود

إنني أنظر للكيلومترات بيننا  
هذه السلاسل الطويلة  
مُفكراً :

بالمراوح التي تدور في الشتاء  
ومقاعد البيبسي كولا  
مُفكراً :

بقلائدِ الدنلوبِ الثقيلة  
التي وضعوها في رقبتيك  
وأنت واقفة على رجلٍ واحدة  
لا أدري

من حفَرَ الآخرَ

أنا أم خندقي

هذا الجرحُ المكشوفُ على خاصرةٍ أرضي .

-إنني أنظر

لهذين الرصيفين المتداخلين

كشوكةٍ وإظفر

مُفكراً بالجنازاتِ التي توارتْ في الصناديقِ

مستقبلةً بالمودّعينُ

ومودّعةً بالمستقبلينُ

\* \* \*

كيفَ اختلفتْ الغاياتُ

على حافةِ هذا الخنجرِ الذي يفصلُ بيننا .

لن تَسْتَوِي الراياتُ والأشْرعةُ

لن يستوي المتأهبُّ والمنحني

أعرفُ هذا

مثلما أشمُّ رائحتُكَ يا صديقي

بين حَدِّي هذا الخنجرِ الذي يفصلُ بيننا

لقد جلستُ أمامَ جِثَّتِكَ الواقفةُ

مفكراً بمنْ يستندُ على الآخرِ

- أنتَ أمَ الحبلِ الذي دارَ حولَ عُنقِكَ ..؟

ولكنْ

متى استطاعتْ المشنقةُ

الأجنبي الجميل

أن تصنع من الجلاد بطلاً..!؟

1978/11/10

## أم العصافير

أيتها الشجرة ، يا أمّ العصافير  
أنتِ تعلمين : لماذا يكون ماء البحر صافياً  
في الإناء ،  
وقاتماً في البحر ،  
وأنتِ تعلمين أنّ الأغصان الحيّة  
وحدها تملك الكثير من الماء  
ماءً للعطش  
ماءً للوضوء  
ماءً للبكاء  
أنتِ تعرفين ، كيف تتسّع الأسئلة كالجروح  
عندما تضيقُ في أفواهنا العبارات  
أيتها الشجرة ، يا أمّ الأجنحة الخضراء  
والهواء الأزرق  
اتركي الكأس مملوءاً بالماء البارد  
والقدر مملوءاً بالخبز الحار

وأشعلي في الغرف أعواد البخور  
البراعم تتفتّح  
على رائحة فوطتكِ  
وفي الخطوط التي حفرها على راحتكِ  
سخام الأواني والسنوات  
أمي :  
عندما تستيقظين مبكرة كلّ يوم  
يستعدّ العالم  
وتتنفّس الصخور .

1978/10/15



## القمر و الأطفال

القمر يذهب كلّ يوم للسوق  
ويشتري ملايين من أرغفة الخبز  
ينثرها مساءً على الفقراء  
. هم أطفال مثلكم لكن سنواتهم أقلّ .  
يأتي الليل  
ويضع الخبز في بطنه السوداء  
وهكذا تظنّ  
في مكان كلّ رغيف خبز  
نجمة في السماء .

## دائماً

دائماً

دائماً في العراق

دائماً في العراق الجميل

دائماً في العراق الجميل المضرّج

دائماً في العراق الجميل المضرّج بالزيت

دائماً في العراق الجميل المضرّج بالزيت والفقراء

دائماً في العراق الجميل المضرّج تنهض أغنيتي

دائماً في العراق الجميل تقاوم أغنيتي

دائماً في العراق تقاوم أغنيتي

دائماً في العراق

دائماً .

## الأجنحة

الليلُ القادم جاء  
محتشداً بين الأسماء  
وبيوتُ العُرْل ترفعها ريح  
وتحطُّ بها ريح  
قُل لي مَنْ أبكاكَ هنا في الشرق  
مَنْ أعطاك الجرح لتبدأ بالصمت  
أسمعُ في ثوبكَ جلدًا يتمايل  
لن يقبل أن تمنحه غفران الصبح  
ومساء النجم الآفل .  
عاتبني زيتك في قلبي  
وسماؤك ساهمة في وجه الطير  
والنوم الساطع لا تمنحه الزهرة إلا الأحلام  
والحم القاطع في إظفره الحادّ  
أشكالُ السيارات وأعباء الأجداد  
فتعال نبارك في تكريت الرايات  
والبدو المحتشدين ..

ساعات عراقي قاطعةً ،  
وبيوت طيوفى مقفلةً  
وستائرُ أجدادي يمسحها الظلّ .  
كم نهراً قابلتُ ،  
وكم جسراً قاطعت  
لكنّ مساءً يديّ النابح في غرف التحقيق  
تأوّه ..، والتّمّت خطوات القادة والأسياذ عَليّ .  
في بيتٍ بشريّ ،  
ونوافذ في سمك الأهداب  
خالطها الضوءُ وباعد ما بين قماش ستائرِها البوليس  
ألقيتُ حقائب هذا البستانِ  
وخلفتُ حقائب كتماني  
وشممتك يا وطني فوق تراب الخندق  
من جسدي وثيابي ، آلفتُ تراب الخندق  
حتى مرَّ الأسبوع  
وجاءت سنوات قادمة  
والشرق الأفل فوق البحر

أمّرت عليه الماء  
وملح الأموات وخاطرة الطفل  
قدّم سبقتني ..  
علّ طريقي قطعت ظلي  
ورمت فوق غباري خطوات الخيل .  
\* \* \*

في غضبي  
حزن أبي  
وتراث السجناء  
والماء  
والضوء الممنوع  
والأشكال الحرّه .  
في غضبي  
كلّ أغاني الزهره  
والعرق الأسود  
ونزيف الصبر  
\* \* \*

لم نبدأ بالصمت  
ها أنت تضيء الثمره  
ها أنت بثوب الصخر  
تتقاسم هذي الأرض مع الأسماء  
والبحر  
وسماء الجيران  
والسر المجروح .

\* \* \*

أنتم للخبز  
وللشاي  
وللتعذيب  
أنتم لرجال خضرٍ لم ترهم شمس  
وقفوا في الأمس  
وجرّوا عربات اليوم الى التوقيف  
حملوا كحل الطلع وذرّوا فوق النخل الاسفلت

\* \* \*

حاصرني قنديل في غرفة هذا الليل المتوحش

حتى أطبق كالإبريق الحار على شفتي .

واحتلّ سكوني

أخذوني بثياب

وضعوني بين الخشب المرتاب

وكانوا يرمون قشور الأسواط على جسدي

ويدي

ناهضة بالصمت

واقفة تتحاشى

ويدي

غير يدي

ودمائي قطرات خاطئة

تتطلع بي

\* \* \*

لا ترحل يا جيش النمل

الرايات الملمومة في الغرف السرية

فيها رائحة الموقوفين

والمح الناشف

والورق المحروق  
والسوق المُتَّسِعَة  
والطرق المرصوفة بالأنياب  
إِقْبَلْ

يا جيش النمل  
أن تجلس فوق حروف الرايات  
كالإنجازات  
تتقدّم عشر سنين..؟

\* \* \*

هذي الصورة  
هذا الرجل الواثق بالأسنان  
الجالس بين رماح الآلات  
المتمايل  
يرفع إصبعه  
حتى تجلس مقبرة صامته وعويل .



## حقائب

يُريدوننا : جاهزين

مثلَ الحَقَائِبِ

في عرباتِ الوطنِ :

نهبطُ ،

أو نتوجّه للمقصلة .

1979/2/28

## أغنية إلى بغداد

- فلتسترخ

وتضيء في عينيك قافلة وملح

وتحيلك الساحات قوس

فلتسترخ

كشفتك عاصمة ،

ودبّ عليك أمس .

\* \* \*

بغدادُ

طرقت على خبزِ احتمالك ، فاحتملت

حتى تحمّل حُبْرَكَ !..

القلقُ الطحينَ

\* \* \*

فلتسترخ بغدادُ

وجنودها والقصرُ ، والخلفاءُ ،

- الدمُّ ماءً

ورقابنا شمع .

وأصابعُ الأطفالِ مُقْفَرَةٌ ،

وعيونُهُم فَتَقُّ طَرِي .

مالوا فحلَّ حليبيهم ، واحتلَّ ثدي الأمهاتِ

الجالساتِ ، القائمتِ

الباقياتِ ، الناحباتِ

الساھراتِ على طريقِ المقصلةِ

\* \* \*

لم تحترقِ بغدادُ ،

لكنَّها العَضلاتُ

\* \* \*

خبَّأتِ صدركِ ،

وحملتَهُ للقتلِ ، أعزَلْ

كانوا على أبوابنا حرساً

كانوا على أهدابنا

بغدادُ

قافلةٌ وصمتُ

بغدادُ آهِ الأمهاتِ المقفلةِ

الأجنبي الجميل

فتماسكي : الطيرُ قنّعتي  
ويديّ السماء .

1979-3-2

## نشيد

لن يطمئنوا

هو قادمٌ عريانٌ أعزلٌ

هو قادمٌ بأظافرِ التعذيبِ

وطراوةِ الضلعِ المكبَّلِ .

لن يطمئنوا

هو قادمٌ بجسارَةِ الدَمِ صاعداً خشبَ المشانقِ

هو قادمٌ

بجسارَةِ الخبزِ المعقَّرِ بالأكفِ

وبالمطارقِ .

## خبز البترول

هدأت بالخبز الرقبه

فتساوى الماء

بين الأحياء

حتى نشف البحر

وأقرت كفّ منتصبه

لون دمي

\* \* \*

هدأ الخبز

بطحين ، أو دون طحين

هدأ الخبز

بالمح

وبالذبح الأسمر

هدأ الخبز

فوق الكسر وبين الكسر

هدأ الخبز

بضماماد

ورماد

وعيونٍ مستتره

هدأ الخبز الحار

في أنيتي المرتجفه

وضلوعي المحتجرة

لم يبرد

أو يحتدّ

لكن الشرطيّ الفرد

قصّ الباب بحرف رغيف

والسلمّ والطيف

وحقيبة طفلٍ ، وسرير عاجز

أو شيء كالسقف

ثمّ ابتسم الشرطي

وعدّد أشكال الأزهار

وأشكال الأجساد الحرّة

والأسنان النضرة

والحلفَ مع الأحياء .

\* \* \*

هدأ الخبز

حتى مال الظلّ على العتبه

حتى عرف الناسُ الأحياءُ جلودَ الأموات  
والحكمةَ ، أو قانون الصلوات

\* \* \*

هذا الخبز

شيء يأتي او يرحل

لا يتبدّلُ غير الأفواه

وجلودُ الناسِ .

أو قامات الأحياء .

هل هدأت خاطرتي..؟

أو ملتُ مع الظلّ الواسعِ ..؟

أو أهملتُ ..؟

مَنْ عاصر خاطرتي ..؟



هل هذا الخبز  
أو هذا الحبز ..؟  
مَنْ أهمل خاطرتي :  
الفقرُ المكمّل الحكمة  
أم هذا الصمت ..؟

1979-2-18

## غزو

لم تكتفِ ، هذه الحجارَةُ ، بصمتها الرمادي  
وتوقُّفها المثلَّم

لم تكتفِ بالقراصنةِ الكبارِ  
ولا الأعمالِ الملوَّنةُ

لذلك . قاومتْ اندفاعي وَسَيِّطرتي

جاءتْ لِتصنَعَ مجدَّها في الخيولِ

وثُقَيِّمَ ، خنادقها الأصيلة في بوادي الرعي

وكلما تألَّفَ ضوءٌ على قنديلِ

كلما ارتفعَ برعمٌ على لحاءِ شجرةٍ

جلستْ هذه الحجارَةُ على صهوةِ الوطنِ

ووزعتِ الغنائمَ على أفرادِ القبيلةِ .

\* \* \*

في أيَّةِ منطقةٍ ، للاعتداءِ

احتملَ البترولُ حطبَ هذه الأجسادِ المكتشفةِ .

المفتوحةِ ، منذُ هولاءِ ، على حماسةِ الجلاذِ

وغزلِ العاصمةِ ومدنِ الجزيةِ .

هكذا تسمعُ الحجارَةُ وترى  
هكذا تظنُّ الحجارَةَ أنَّ التواييتَ  
كافيةٌ للخبزِ والصلاةِ .

\* \* \*

عندما اكتشفَ البترولُ قارتنا  
اكتشفَ الحجارَةَ لقبورنا

1979-3-14

## ما الذي تغيّر أيّها الشاعر..؟

الموائد التي احتشدت بالكراسي  
احتشدت بالشعراء أيضاً ،  
كان يباغتني هذا الشاعر  
مُطرقاً يأتي من النافذه  
ويضع أمامي أعداءه الملونين  
وحينما يدعونه للوليمة والاصطياف  
يسدّ إحدى عينيه ويمدّ إحدى يديه  
ثم يتقدم بكلّ خطواته  
أعرفه كيف يحتكّ بأكتاف الديبلوماسيين  
ويتمايل أمام الجمهور المحتجّ  
رافعاً دمه على جواز سفره  
وسجونه المتقاطعه  
انظروا للشاعر وتواقيعه  
قبل أن ينحني لكم بأسنانه البيضاء  
انظروا لكلّ تذاكر السفر في حقيبته السوداء

سترون ، لون الدم على جواز سفره  
دم كل المتقاطعين  
والمقطوعين ،  
الأحياء الدافئين حتى الآن ،  
ثم اسأله : من الذي تغير أيها الشاعر ..؟  
هنالك بين السجن والسجن : لا يزال  
هذا اليوم الكثيف  
هذا اليوم المتجدد ، الذي لم يبرد بعد  
هذا اليوم القائم كحبل المشنقه  
ما الذي تغير أيها الشاعر ..؟  
فالرقبه التي لم تمل بعد  
رأت الرقبه التي مالت  
واللسان الذي لم يندلق بعد  
لن يتكلم عن اللسان الذي اندلق .  
اسأله عن هذه الأشياء اللينة التي تتوارث  
بين جمرة وفحمة  
ومن رئة لرئته

القاعة التي احتشدت بالناس  
احتشدت بجزارة الشاعر أيضاً .

## حكاية

كيفَ لي من بين هذه الأسماء المتماسكة  
أن أختار شهدي عطية .

معذرة :

ها هو الرجل ،

لكلّ هذه السياط المتوثبه

المحتاطة بالبنادق والسجون

عاريّاً يحاول النهوض بين قوائم الخيل والعصي .

وحينما ترنّح

الرجل المحتشم الوحيد

اعتذر لمصر

وملأ صدره بالهواء

ثمّ مال كي لا يسقط

ويشهد "البكباشي أحمد" امتحان جسده الوحيد

هذا الشيء القليل جداً

من كفّين عريضتين ولسان رفيع ..

معذرة

لليد التي ارتخت على الحديد  
وهدأت على طول أرض مصر وعرضها  
تاركة للطرابيش  
الحقد الذي اتسعت به أحداق الأمهات  
ولهفة الطين  
وإنهاك الخيول  
معذرة  
عندما أوجز هذه الحياة ، بشكل بسيط  
تماماً ، كما يمكن أن يرويها  
أو رواها البكباشي أحمد .



الجزء السادس :

# البدائيات

## اللون الصامت

لا أعرف ماذا أرسم ..؟  
أعطوني الألوان وقالوا :  
إرسم وجهاً يبكي ، لا يدري ماذا نعطيه ، فيسكت  
إرسم سيفاً يحرث فوق الخدين  
إرسم صوتاً مُتَعَب ،  
تاه بصحراء المغرب  
إرسم عينين بعمقين  
إرسم وجهاً بشرياً  
أمدّ يدي  
أعجن كل الألوان بأحشائي  
أُسْقِطُهَا فوق الطين واشرب  
خذ كأساً يا مَنْ صارت أحلامك لصاً  
ها اني تمتدّ يدي ، منتظراً أن تصف الألوان  
قد قالوا لي : إرسم وجهاً بشرياً  
يبكي لا ندري ماذا نعطيه فيسكت  
أمدّ يدي

دع قدميك الهاربتين  
تأخذ مني مفتاحا تقفل حدّ الأثر  
دع وجهك يأخذ من ريح الزرع المحتضر  
من دبق النهر المكريّ  
قدر شهيقين  
فرشاتي ، صدأت كلّ الألوان عليها  
صارت أوراقى سوداء  
والصيف يميت الأشجار العطرية  
فمتى تأتي يا نوار  
ألواني في بحر أزرق  
فمتى تأتي ، تصنع لي زورق  
قلبي دفته ، عيناى الريح وأعصابى حبلّ بشراعه  
( قد تحبل بي سحب ..! )  
يا ألواني إنى جنّت كى أرسم وجهها لن يبكى  
وجهها يصف الآمال ، يسمّى الأشياء  
يا ألواني جنّت ولن يعبر فصل لا أعرفه  
لن يعبر ميلاد لا أعرفه

## الجندي العائد

فات الليل

دقّ الجندي العائد باب البيت

دقّ الباب ..

ودقّ ..

وملّ

فاسترخى فوق غبار حقييته

منتظراً ..

حتى نام .

## رجل آخر

أنت النحيل المكابد

يا صديقي

اعرف

أعرفه الدم لا لون فيه

على الاسفلت ماء وشكلٌ يدور مع العجلات

وأعرفه مثلما كنت تأتي

وتمضي

وأعرفه مثلما كنت تبقى

هذه أرضنا القاحلة

بين التأتّي مع الزهر والمقصله .

يا صديقي النحيل المكابد

لم يصنعوا الليل حتى تنام

ولكنهم أجبروا الماء أن ينحني

ويأخذ من دورة الدم فوق الرصيف

لونها في النهار .

## طير ورماد أزرق

الزهرة والطيف  
أخذا خوفي للبحر  
عادا لي محترقين  
وكنت وحيداً بين يديّ الخائفتين  
الزهرة والطيف ،  
فوق رمادي ارتجفا  
كان ردائي شفافاً وشتائي طيراً أبيض .

\* \* \*

حدّثني الطيرُ الأبيض  
عن شجرٍ أبيض  
ودماء بيضاء  
قال : إقطع حبلَ الخيل لتصنع غابة  
فرسان وكلاب  
قال انهض للأبيض في ليل الخوف  
للأبيض في اللون المحروق

\* \* \*

خوفٌ قدّام الباب  
خوفٌ يسهلُ

فأفتحُ باباً بثيابي ... أخرجُ للبحرِ  
لتتبعني الأشجار  
والنومُ الخائف

\* \* \*

بعصاي أخبّيء أثاري .  
لا أعرف كيف انصرف الطير  
وتوالت أجنحة الريح  
لا أعرفُ كيف أخذتُ شهيقِي  
وحملت رمادي الأزرق  
ثم مشيت ..؟

## أسلاك

أوقفني الضابط .  
أنزّلني عن أمتعتي  
وتوجّه يسأل أوجاعي  
فأنختُ وكان العجرُ الرُحْلُ  
خلف الضابط يبتسمون  
كان غطائي في أمتعتي ،  
فرقصتُ :  
كي أدفاً . ثم أنام .

\* \* \*

رقص العجر الرُحْلُ حتى الفجر  
كان الضابط يفتل شاربه ويغني ..  
أو يلعن أسماء ..  
كنتُ أنام ،  
لكن الضوء الأسنّ تورثه الريح ..  
على عيني فتطفئ نومي

\* \* \*

أتطّلع بالناس السمر المشدودين على كتفي  
والشارع يمشي سكراناً يتأمّل بحر البقّ  
على جسدي



أَسْأَلُ شَرْطِيًّا عَنْ جَرْحِي  
يَأْخُذُ كَبْرِيَّتِي مِنْ يَورْثٍ فِي كَفْيِ سِجَارَتِهِ  
يَسْعَلُ ، أَوْ يَتَسَلَى بِالصَّمْتِ  
...

أَنْظُرُ فِي جَدَثٍ يَتَنَقَّلُ بَيْنِي وَالشَّارِعَ  
حَيْثُ السِّيَّارَاتُ تَعَجَّ  
حَيْثُ النَّاسُ حَفَاةٌ تَرَعَى  
أَمْتَدُّ عَلَى بَابِ التَّوْقِيفِ . فَأَسْقُطُ فِي التَّوْقِيفِ  
حَتَّى يَأْتِيَ الضَّابِطُ وَالتَّحْقِيقُ ،  
لَنْ أَتَعَبَ

## سيدي الخوف

نعم ، سيدي الخوف :  
رأيتُ دموعَ التماسيح فوق الطحين  
تحسستُ أنيابها في زحام العجين  
نعم ،  
جاسني برُدّها فاستعدتُ بها مرتين  
نعم ،  
كلما أيقظتني الشكوكُ احتميتُ  
بأصدافها تائباً ،  
فتمسح فوق لساني وعقلي لأغفو  
وتنزّل عن جسدي المستكين  
سكاكينُ شكي اللعين .

\* \* \*

نعم سيدي  
دخلنا مع الداخلين  
وفرّقنا الحرسُ المستقيمون مثل العرين  
على طاعتين  
هنا طاعةٌ في الشمال  
هنا طاعةٌ في اليمين

\* \* \*

نعم سيدي الخوف : لي صاحب  
ثم أنكرته فافترقنا ، وأذكره كلما حكَّ جلدي حديد  
ووشّت بابي في الفجرِ ريحٌ .. ومَرَّ عويل  
نعم ، إنها زحمةُ القبر تجلسُ بيني وبين لساني فأردمه  
وتجلسُ بيني وبين عيوني فأخصفها  
وتجلسُ بيني وسمعي فأخصمه ،  
وأعصرُ ذاكرتي ، ثم أنشرها فوق حبل الغسيل ..  
نعم ، كان لي صاحبٌ واحدٌ لم يخف ، فتفرق  
ولم يجمع البحرُ منه سوى ملحِه  
والحديد الثقيل ..

\* \* \*

نعم سيدي  
مرةً قلتُ كلا ، فكاد لساني يضيع  
وكاد فمي يمحي مثل اسمي  
وعائلي والكلاب التي نبحت  
والطيور التي فرعت  
والحليب القليل  
وظفلي الرضيع  
وباب الحديد الذي شدَّ ثوبي  
فأخرني لحظتين

ولكنهم عالجه ، فأطلقني للتراب  
الذي داسني كالجميع ..

\* \* \*

نعم إنها حائطي  
وهذي الثقبُ تمرُّ إلى كل أهلي  
لتأخذَ منهم هواءَ وطن .

\* \* \*

نعم سيدي الخوف  
رأيتُ التماسيحَ تُفردُ أنيابها للسحاب فتغسلها  
والرياح فتعصرها ، والسماء فتنتشرها فوق كل البيوت .  
فأحصيتُ كلَّ عظامي  
وهيأتُ خامي  
لكي لا أموت

\* \* \*

نعم ، إنه حائطي  
وبابي على حفرتين  
وهذي ضلوعُ العبارة  
يجبّرها الجبس  
مرفوعةً كالجبين .

## عيني عليك

عيني عليك  
والعيد في عيني عليك  
لشبابها طبع الحمامة  
ورموشها عش الحمامة  
عيني عليك من الأذى ومن السلامة  
قلبي البراري  
وحضورك الرحمن ، بي مطرّ يداري  
وانا القمر  
كلّ البنات نجوم صيف  
وأنا الوفيّة  
كلّ البنات غيوم صيف  
يا اخضر الدنيا ويا شجر المحنّة  
علّمتني شوق البلاد  
وأتيّتي من طينها والطين جنّه

## الحجر الذي رأى

(1)\*\*

• إنه أفتخر أن انادي بإسمك

يا إسمه

أنت الذي أبصرت أسرار الخفايا

أنت المقدم في الطليعة .

أنت الذي في الخلف تحمي أرض بابل

أنت الحكيم

أنت الذي عبر المحيط إلى طلوع الشمس

أنت الذي غنى بذكرك أهل بابل

أنت المظفر

ثلاثك من روح الاله

وثلاثك الباقي بشر .

(2)\*

• الدار التي ثارت ضد الملك

الفاؤس تجعلها تستسلم للملك

وَضَعَ الملك  
كرسيه ، فتكلم الحجرُ السعيد  
مَنْ غيره  
رَفَعْتُهُ بَابِلُ فِي الأَعَالِي  
جالساً ،  
وَجَمَعْتُنَا واقفينَ مع الحديد ..؟  
أَخَذَ الملك  
بيديه فأَسَّ الرَّبِّ فاعتدلَ البشر  
مَنْ غيره  
أَعْطَتْهُ بَابِلُ سَمْعَنَا وَعَيُونَنَا  
وهيأتنا أَنْ نُطَاوَعَ فَأَسَّهُ فَوْقَ الحِجْرِ ..؟  
قال الملك  
الأَرْضُ لي . قُلْنَا نعم  
والبحرُ لي . قُلْنَا نعم  
وجميعكم قلنا نعم  
فتبسمَ العرشُ المَجدُ ومدَّ إصبعه علينا  
فانحنينا ...  
وحطَّ فوق رؤوسنا طيرُ السماء  
حتى يمرَّ الموكبُ الملكي بين سجدتنا .  
بجلاله يَأْتِي وينفخُ في أنوفِ عباده

نَفَسَ الحَيَاةَ .

فالمجدُّ للفأسِ التي كتبتِ وصيَّته علينا .

المجدُّ لك

مِنْ أَوْلِكَ

ولآخرِ الطينِ المخمَّرِ في الفرات

أنتَ الملك .

(3)\*

• حتى يبلغ غابة الأرز ويقتل  
خمبابا المارد ويمحو من على  
الأرض كلَّ شرِّ تمقته ..

[ يا صاحبي أمرَ الملك

جُنْدَه .

يا صاحبي ودمأونا عنده ]

.. :.....؟

.. : ... لا تلهث . إنني أُخفي في الليلِ بياضَ عيوني

وأردُّ زَحيري بيدي . رأيتُ النارَ بعين

العفريتِ تطلُّ ، فلمْ أصرخ . لكني أخليثُ

الحفرة مِنْ سِتِّ أكفٍ وثلاثةِ أذرع ... كانَ



وحيداً هذا الرأس الأقرع بين الجسدين . ونمّث  
- ثلاثتنا - والليل فلم ألهتُ وبلّعتُ دمائي

وسكّتُ .

!... : .

. : لن يسمعي أحدٌ إلاّ الماءَ وهذي الأعضاء

الخرساء .

فلنصبرُ يوماً آخر بين الأخوة . هُم أخوتنا والماءُ

الأحمرُ يغسلهم معنا ، لكننا ملمومون بكاملنا ... لا

تنظرُ إن كنتَ تخاف من الجثثِ المبقورةِ تطفو

كاملةً أو ناقصةً أو مشطورة .

!... : .

. : لن يسمعي أحدٌ إلاّ الماءَ وهذي الأعضاء المفروزة

بين القصبِ الأخضرِ والقصبِ المحروق .

ولنصبرُ يوماً آخر نأكل من سمكِ الهورِ ونشرب

من ماء البرديّ . فقد ماتوا أمس أو الأمس الأول ،

لم تتحلّ العضلاتُ ليأكل منها الطيرُ أو السمك

الجائعُ ... صدّني لن نأكل من لحم الأخوة ، ولنصبرُ

يوماً آخر . إنّ الجثثَ المنصوبةَ مثل العلم الأزرقِ

بالخضرة والأذرع والأحشاء السوداء ستُرعبُ

خمبابا العفريت وتطرده عتاً ...

.....ماذا ؟..إني أسمع حياً ... يفعلها في .. الماء ..

فلا تلهث وتريث ..!

هل تعرفه..؟

.. : ..

. : أحدٌ من قادتنا يقلبُ خوذته في الماءِ ويدفعها

بالرمحِ المكسور فتعطسُ ..!

هل قلتُ كلاماً يجعله يدفعني مثلَ الخوذةِ

أعطسُ والرمحُ بظهري ..؟

.. : ..

. : قلتُ . وأنتَ الشاهدُ ، إنَّ الجثثَ الزرقاءَ تجيفُ

فتطرد خمبابا الماردَ عنَّا خسرانَ ، فبابلُ يحفظها

ربُّ الأربابِ ويحميها ملكٌ من بين يديه تقومُ

الأفعال فيحملها الإنسان ...

(4)\*

● على ضربات الطبل..  
تستيقظ رعيته

نحنُ الجميع

بجميع طاعتنا إليك وما نقدُ ونستطيع

نمشي برمحك والعلم .  
في غابة الأرز العميقه  
حتى يفرّ الليلُ عن ماء السمك  
وهواء اجنحة الطيور  
ويحتمي عنق القصب  
الحربُ حرب  
والماء دم .

يا أهل بابل أعلنوا خسران خمبابا  
وغنّوا باسمه الملك المقدم .  
شدّوا الجنائن بالسماء وعلّقوا الغيم الثقيل  
على سواقيها وبتّوا الماء في أعنابها .  
البابُ لك

فادخلْ على الحجرِ المرقّشِ كلّهُ تجدِ البشر  
وادخلْ على البشرِ الرعية كلّهم تجدِ الحجر  
بشراً ببابك ينتهون ويبدأ الحجر الحجر  
فأسّ لصوتك في الحجر  
فأسّ لصمتك في الحجر  
تصغي لاسمك في لسانها - هكذا -  
وتجيء كلّ الأرض طائعةً ...  
لبابل

(5)\*

كان يخبِرُ مع الخبازين . ويعدُّ  
بيديه النظيفتين مائدة القرايين

.. :

.. ولنصبرُ سنةً أخرى . واحفظُ رأسك من سوط

الشمسِ وظهركَ من سنِّ الحجرِ القاطعِ يأكلُ لحمكَ

وانزلْ مثلَ الكلبِ ولا تصعدْ قبلَ الكلبِ . جنائزُ

بابلَ نرفعها لإلهِ الشمسِ ونصنعُ منها كرسيًا

لمقامِ الملكِ السامي . إصبرُ سنةً أخرى فلعلَّ

إلهِ الشمسِ يحنُّ على ضعفِ عبادِ الأرضِ ببابلَ

يدنو للفلَكِ الأولِ حتى تُدركَ في السنة

الأخرى قدميه ونبني هيكله ونصلي جمدًا للملكِ

الفردِ يحطُّ مَسَلَّتَه في الركنِ ويعلنُ فينا كلَّ

شرائعه الحقة ، ثم نقوم لننزلَ كي يبقى في

القاعةِ وحده والعرشَ ومجدَّ الاسمِ .

(6)\*

لقد أصبحَ صَخْبُ البشرِ شديدًا عليَّ  
وقد حرمني صخبُهم من النومِ .

ذهب الملك  
و (بقا) \* علينا عرشه ظللاً فتفرشه ونسجد  
جاء الملك  
وبنى علينا ظلُّه باباً فندخله ونسجد  
غاب الملك  
وبَقَّتْ علينا فأسُهِ تُملي فتكتب اسمه  
في شربنا وطعامنا  
وجهاتنا السَّتِ القليلةِ مرتين إلى اللحد  
حضر الملك  
قمنا ، فلم تُطِقِ الوقوفَ عظامنا  
وتساندت أجسادنا ضرساً يعضُّ على ضرس  
وتداخلت أضلاعنا حتى الجدار  
لكننا حجر تقنت وانسحقنا كلنا  
في لحظتين من الغبار  
غضب الملك  
لاشيء يَعِصِمُنَا فمتنا طائعين  
وتحلَّت أرواحنا فأعادها نملُ الخليقة للفرات  
والآن يقدرُ أن ينام

فالصمْتُ يحرسُ حلمه  
والليل يحرس صمته  
والربُّ يحرس ليله  
والفأس تحرس ربه

(7)\*  
سارت جيوش الأحميني الأول ، وفي عام  
539 ق.م دخلتُ بابل دون مقاومة

: . . . !؟

: . إحفز وادفن رمحك في الأرض وثوب الحرب  
إسكن حتى تعبرك الخيلُ وجندُ الأحميني الأول  
واصبرُ عمراً آخر إنَّ الصبر جميل والشهداء جميلون .  
فكلُّ الحجر المنحوت سيبقى في الأسوار وفي الأبراج  
سليماً والأبواب الفخمة والقاعات الرحبة والمعبد  
والعرش بأعلى الزقورة والهيكل والأعمدة المنصوبة  
والساحات وقنطرة القصر ...  
وتبقى ألواح الطين تمجد اسم الملك الأعظم في الأرض  
وختم أصابعنا والملح .

(8)\*\*

المنشد لا ينتحب ، وفي أطراف  
المدينة لا ينطق بالرتاء .

إغفر لي

يا مَنْ أَكثَرَتِ الاصطبلات

وأكثَرَتِ الأبقار

وجعلت الأغانمَ ببابل لا تُحصى

اغفر لي

يا مَنْ مَكَّنَتِ النعجةَ أن تلدَّ التوأمَ بعد التوأم

وفاقَ البغلِ حمارك في حمل الأتقال

اغفر لي

يا مَنْ ليس لثورك في النير مثيل

اغفر لي .

---

\*المقاطع داخل إطار مأخوذة من نصوص بابلية

\*\* المقطعان 1 ، 8 مأخوذان بتصريف بسيط من قصائد بابلية .

\*\*\* الفعل ( بقا ) من بقي ، استخدام عند طيء

موجز عن السيرة الذاتية – وتراثه الأدبي  
للشاعر والكاتب المسرحي العراقي الراحل مصطفى عبدالله  
(1989-1947)

- ولد مصطفى عبدالله حسين العلي في قضاء أبي الخصيب، **Chyba!**  
**Záložka není definována.** محلة "باب ميدان" يوم العاشر  
من تموز عام 1947، لأبوين كادحين.
- أكمل تعليمه الإبتدائي والمرحلة المتوسطة في قضاء أبي الخصيب:  
(1953 - 1959 - مدرسة المحمودية)، (1961 - 1963 ثانوية أبي  
الخصيب للبنين). وأنجز المرحلة الإعدادية في مدينة البصرة (1963 -  
1965 الإعدادية المركزية في البصرة).
- تخرج من جامعة البصرة عام 1971، كلية التربية. مُنح شهادة  
بكالوريوس علوم في علم الحياة، ثم عمل مدرساً في ثانويات البصرة  
بمادة الأحياء.
- غادر مصطفى عبد الله أواخر عام 1978 العراق متخفياً بسبب حملة  
النظام البعثي - الدكتاتوري ضد القوى التقدمية والديمقراطية، وبعد  
رحلة مضنية وتشرذ استقر في المغرب.
- عمل في المغرب مدرساً للعلوم الطبيعية. ساهم إستقراره النسبي في  
العمل على معاودة نشاطه الثقافي - الإبداعي المتنوع هناك. نشر  
قصائده في الصحف المغربية والعربية، وكتب بعض الدراسات  
الانثروبولوجية. ثم عمل مدرساً في (مدينة القنيطرة - ثانوية التقدم).  
ألف كتاباً في العلوم الطبيعية، وأنشأ مختبراً خاصاً يخدم تلك العلوم  
أيضاً. بعد رحيله أُطلق على ذلك المختبر، إسم (مختبر مصطفى  
عبدالله) وفاءً لجهود في ميدان عمله.



الأجنبي الجميل

- تعرض الفقيد يوم الأربعاء الموافق 1989/11/1 لحادث مرور غادر ومفجع على طريق مدينة القنيطرة - الرباط أودى بحياته في غربته. دفن بمقبرة مدينة القنيطرة في المغرب.

### التراث الشعري والمسرحي للفقيد مصطفى عبدالله:

#### البديات:

بدأ مصطفى عبدالله نشاطه الأدبي في (قضاء أبي الخصيب - محافظة البصرة) كاتباً للمسرحية والقصة القصيرة والشعر. ظهرت لديه هوايات مبكرة في الفن السينمائي والرسم. مثلت بعض مسرحياته الأولى في مدينة أبي الخصيب، وهو لم يزل طالباً في المرحلة المتوسطة.

انتقل في العام الدراسي 1963 - 1964 الى مركز مدينة البصرة لمواصلة دراسته الإعدادية. نشر بعض قصصه في أواسط الستينيات في الصحف والمجلات التي كانت تصدر في تلك المرحلة. كشفت تلك القصص عن قاص واعد قادم، ثم أستمكن منه الشعر. نشر بعضاً من قصائده في السبعينات في الصحف والمجلات العراقية والعربية. بقيت إهتماماته بالقصة مستمرة، متابعاً بدقة وشغف ما يصدر من قصص في الكتب والمجلات والصحف. أقام علاقات وثيقة في السبعينات مع أصدقائه القصاصين والمهتمين بهذا المجال. يعرض عليهم ما يكتب ويدخل معهم في حوارات، حول قصصهم وموضوعاتها وأشكالها الفنية، وفق رؤى ومعايير نقدية - فنية، تعتبر حدثية في تلك المرحلة.

بدأ اهتمامه بكتابة (سيناريو الأوبريت). إتفق مع الشاعر الراحل (أبو سرحان) على كتابة أغاني الأوبريت، ووافق على ذلك، ولكن لم تتعامل الجهات الرسمية - الثقافية في البصرة معهم بجدية بسبب توجسات (أيديولوجية - سياسية)، وأنسحب ذلك على أطراف أخرى، مدنية، لصرامة القياسات المعتمدة في تلك المرحلة. واصل مصطفى إهتمامه بالأوبريت. كتب أوبريت (الطريق) لمناسبة الذكرى الأربعين لتأسيس الحزب الشيوعي العراقي. قدم لمرة واحدة في بغداد، وكتبت عنه جريدة طريق الشعب والفكر الجديد ومجلة الثقافة الجديدة. كان من

المؤمل أن يقدم الأوبريت في مدن عراقية أخرى إلا أن ذلك لم يحصل في حينه لأسباب باتت معروفة. (نص الأوبريت مفقود).

### الشعر:

يمكن تقسيم إبداع الشاعر الى مرحلتين: المرحلة الأولى تمثلت بالفترة التي عاشها في العراق حتى عام 1978. وإضطر بعدها الى الرحيل ليستقر مدرساً في المغرب. وهنا في المغرب بدأت المرحلة الثانية، التي إنتهت بوفاته بسبب حادث سير مؤسف نهاية عام 1989.

عمد خلال الفترة الأولى على نشر قصائده في بعض الصحف والمجلات العراقية والعربية، وللأسف لا توجد لدينا معلومات كاملة عن هذا الموضوع، ما استطعنا رصد بعض من قصائده التي نشرت، في صحيفة طريق الشعب ومجلة الثقافة الجديدة والفكر الجديد. عاود في المغرب نشاطه الثقافي - الإبداعي المتنوع، حيث نشر قصائده في الصحف المغربية والعراقية وبعض الصحف العربية الأخرى، وكتب بعض الدراسات الانثروبولوجية عن أزياء الطوارق، خاصة لثام الوجه الصحراوي.

- كان الشاعر قد أعد مجموعة شعرية بعنوان (بين الكُـلِّ). قدمها إلى اتحاد الكتاب العرب في دمشق عام 1984. أجزت المجموعة فعلاً بيد أنها لم تنشر، وأسباب ذلك لا تزال مجهولة بالنسبة لنا. وقد توزعت قصائد هذه المجموعة بين عامي 1970-1984.
- بعد وفاته وبتاريخ 1990/3/2 اصدرت (رابطة الكتاب والصحفيين والفنانيين الديمقراطيين العراقيين) كراساً عنه بعنوان (الأجنبيّ الجميل - رحل عنا .. وعدنا باللقاء) ضم مختارات من قصائده وكلمات وقصائد في رثائه كتبها بعض الكتاب العراقيين والعرب.
- في عام 1993 وبمبادرة مشكورة من دار صحارى للصحافة والنشر في بودابست، قامت الدار ضمن مشروعها لنشر سلسلتها الشعرية

الأجنبي الجميل

بطباعة ثمانية دواويين شعرية، منها ديوان للفقيدي مصطفى (ديوان الخارطة). تم تصميم الأغلفة والتنضيد، ونشرت 6 منها، وبقِيَ ديوانان لم ينجزا بسبب توقف عمل الدار. الأشراف الفني: انتشال هادي. وخطوط الغلاف: الفنان الشاعر صادق الصائغ. كان من بين الشعراء الذين نُشرت دواوينهم: كريم كاصد، هاشم شفيق، مخلص خليل، عواد ناصر.

- في عام 1999 اصدرت دار المدى- دمشق مجموعة مختارة من قصائده بعنوان (مكاشفات ما بعد الرحيل)، أعد المجموعة وقدم لها الدكتور مجيد الراضي ولوحة الغلاف للفنان جبر علوان.
  - في عام 2004 طبعت دار الشؤون الثقافية - وزارة الثقافة العراقية، مجموعة شعرية تحت عنوان "الأجنبي الجميل"، أعدها وقدم لها الشاعر عبدالكريم كاصد؛ الغلاف واللوحات الداخلية للفنان فيصل لعبي، تضمنت هذه المجموعة ستة أقسام: الأول - الأجنبي الجميل كتبت خلال الفترة (1988 - 1989)، الثاني - مكاشفات (1978 - 1989)، الثالث - صورة العاشق: (1978 - 1979)، الرابع: بين الكل (1970 - 1980)، الخامس: الخارطة (1978 - 1979)، السادس: البدايات (السبعينات عدا قصيدة الحجر الذي رأى كتبت عام 1987).
  - في عام 2017 تم طباعة مجموعة الأجنبي الجميل مرة ثانية، واعتمدت هذه المجموعة على ما اعده الشاعر عبد الكريم كاصد مشكوراً في الطبعة الأولى، وأجريت بعض الإضافات والتعديلات، حيث أضيفت بعض القصائد غير المنشورة سابقاً لا في الديوان الأول ولا في الثاني.
  - لا زال هناك عدد من القصائد غير المنشورة قسم منها، عبارة عن مسودات تركها الفقيدي ولم يستكمل تدقيقها وبنائها بشكلها النهائي.
- الأعمال الأخرى للراحل:**

1- **العمارة الإسلامية - فيلم وثائقي:** أعداد وسيناريو مصطفى عبدالله وأخراج كاظم الصبر، مدة عرض الفلم 45 دقيقة، أنتجته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الاييسيسكو)، بالتعاون مع التلفزة المغربية عام 1988. يبدأ الفيلم بالمسجد، باعتباره مصدراً مهماً للعمارة الإسلامية، التي أكملت معالمها الأولى في العصر الأموي، مؤكداً على القيمة الروحية التي يمثلها المسجد بعد إنتشار الإسلام، مستعرضاً بذات الروح الشعرية عدداً من أهم المساجد التي تظهر أنماط العمارة الإسلامية، جامع القيروان بتونس، وجامع الكتبية والقرويين في المغرب. ويتحدث الفلم عن مصادر العمارة الإسلامية.

2- **العلوم عند المسلمين - فيلم وثائقي:** إعداد وسيناريو مصطفى عبدالله وأخراج كاظم الصبر، مدة عرض الفلم 45 دقيقة، أنتجته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الاييسيسكو) بالتعاون مع التلفزة المغربية عام 1988. يتناول هذا الفلم مظاهر الحضارة الإسلامية، والتعريف بأهم المنجزات العلمية التي تمت على أيدي العلماء المسلمين كالرازي وابن حيان ، والخوارزمي، مستعرضاً أهم المؤلفات العلمية والترجمات من الفكر اليوناني والإضافات والتصحيحات العلمية المهمة التي اجريت على تلك العلوم.

3- **عن المخدرات - فيلم وثائقي:** أعداد وسيناريو مصطفى عبدالله وأخراج كاظم الصبر، أنتجته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الاييسيسكو)، عام 1989/8-1990/2/7. مدة عرضة 40 دقيقة.

4- **سيناريو زيدان الصياد:** قصة وسيناريو مصطفى عبدالله. في شهر 1989/7 تم الشروع لإنتاج هذا السيناريو من قبل معمل العين في المغرب – شريط بالرسوم المتحركة بحجم 35 ملم، ومدة العرض 90 دقيقة، وقد اشترك الكاتب المغربي الاستاذ ادريس الصغير في السيناريو

الأجنبي الجميل

والحوار واخراج الفنان المغربي حميد السملالي، ولاسباب نجلها لم يتم إنتاج هذا الشريط.

عدد صفحات السيناريو 110 صفحة تقريباً، حجم (اي - 4) عدد المشاهد (125 مشهداً). أصل السيناريو موجود بخط الراحل وتم طبعة بصيغة الورد.

5- كتاب الآس في حب فاس: فلم وثائقي - إعداد وسيناريو مصطفى عبدالله 1988. أصل السيناريو موجود بخط الراحل وتم طبعة بصيغة الورد. السيناريو لحد الآن لم ينتج.

فكرة الفلم: فاس سفينة تحمل من كل بلدٍ وجهةٍ وقبيلةٍ عائلة. وهي أيضاً توقيعٌ ما يزال باقياً لمدنٍ إسلاميةٍ إندثرت ولم يبقَ شيءٌ منها. فهي إذن حقيقة تاريخية لتسبينا جميعاً، وهذه السفينة تُوشكُ الآن على الغرق .. ولذا يجب أن يكون الحوار عنها ومعها في آن واحد. وهذا الشريط محاولة تستلهم الشكل التاريخي القديم في السرد، تقرباً من روح فاس ومعناها، وليست مهمته تاريخية بحتة بقدر ما هو مسح غبار التاريخ عن نبض الحياة الشخصية، المتجسد في الحجاره مثلما هو متجسد في الأصابع التي نحتت هذه الحجاره أخيراً، اذا استَطعنا أن نسمع فاساً، فإنها بلا شك ستسمعنا أيضاً.

6- أمس الإثنين والثلاثاء غداً: مسرحية، مصطفى عبدالله - 1988. عدد الصفحات 110 حجم اي -4 تتكون المسرحية من ثلاث فصول و118 مشهداً، المسرحية غير منشورة.

7- هواء وماء وجدران - تمثيلية:- قصة وسيناريو وحوار وشعر مصطفى عبدالله - 1988. عدد الصفحات 171 حجم اي - 4، غير منشورة.

8- **الخيظ والسمة - تمثيلية:-** مصطفى عبدالله - 1988/6. تتكون من ثلاث فصول و213 مشهداً وعدد الصفحات 137 حجم اي - 4، غير منشورة.

9- **العالي، مسرحية شعرية:-** مصطفى عبدالله -1971، مستوحاة من قصيدة ناظم حكمت (قصة شجرة الجوز ويونس الأعرج ). غير منشورة.

10- **الكلام - مسرحية شعرية:-** 1972. غير منشورة.

11- **الطريق - سيناريو أوبريت:-** 1973. غير منشور.

12- **الجرداغ - سيناريو أوبريت:-** 1974. غير منشور.

فكرة الأوبريت مبنية على العمل الموسمي لعمال الجراديع - مكابس التمور الأهلية المنتشرة سابقاً في البصرة، الذين يحضرون مع عوائلهم للعمل في مواسم جني التمور كأجراء. يعتمد مالك المكبس تسليفهم مبلغاً من المال لإدامة حياتهم اليومية، وخلال أيام العمل يقوم بحساب مصاريفهم بشكل يومي من غذاء وأمور أخرى وتجري تسوية الحسابات المالية بعد انتهاء الموسم وفي الغالب يكون العمال مدينين لصاحب المكبس وتُدور الديون للسنة القادمة. وهكذا، في هذا العام يفرض صاحب المكبس على العمال عدم حضور (زهرة) معهم بسبب ما عملته في الموسم الماضي من (حرائق) - كما يدعي مالك المكبس - ومشاكل يومية وبسبب موقفها من استغلال العمال وسوء وضعهم الإجتماعي الهامشي، ومديونيتهم المدورة في سنوات سابقة والأسلوب المهين لحياتهم اليومية واستغلال النساء جسدياً من قبل صاحب المكبس والمتنفذين فيه، في البدء يرفض العمال وعوائلهم ذلك غير أن صاحب المكبس يهددهم باللجوء للسلطات لمقاضاتهم، لكونهم مدينين له بمبالغ متراكمة على ذمة كل منهم وموثقة أصولياً، وبسبب عجزهم وخوفهم

الأجنبي الجميل

من نتائج ذلك يرضخون لشروط صاحب المكبس ولا تحضر (زهرة) معهم، لكنها تلهب خيالاتهم في حياة بؤسهم اليومية، وتغدو الحاضرة - الغائبة، حتى أنها تلهمهم لمواجهة تسلط صاحب المكبس وتصعيد تحديهم له ولاعوانه لغرض تحسين شروط حياتهم وأوضاعهم المزرية.

13- ترك الفقيد مسرحيتين بدون عنوان وتدقيق، ومسرحية غير كاملة تحت عنوان أمينة البنت.

## الفهرست

الصفحة	اسم القصيدة	ت
3	مقدمة : ثمن الشعر – عبدالكريم كاصد	

### 1- الأجنبيّ الجميل

19	الأجنبيّ الجميل	.1
23	سيدي الصمت	.2
24	دمي	.3
25	الحصان	.4
27	سيدي الزمان	.5
29	يا خلوة التابوت	.6

### 2- مكاشفات

38	تمهيد	.1
40	شيخوخة	.2
42	غبار	.3
44	رجل	.4
46	الاسم	.5
48	الذاكرة	.6
50	وراء	.7
52	أغنية الخط المستقيم	.8
54	حلم	.9



الصفحة	اسم القصيدة	ت
56	الصرخة	.10
58	أغنية الميزان	.11
60	شجرة	.12
62	الشراع	.13
65	الكرسي البارد	.14
67	إمرأة	.15
69	المرأة والرجل	.16
71	الأمني	.17
73	غداً	.18
75	مهرجان الرجل	.19
77	سفر	.20
79	يداً بيد	.21
81	تقاطع	.22
83	الحضور	.23
85	المطر الجميل	.24

### 3- صورة العاشق

89	صورة العاشق	.1
98	فانتازيا الإنتظار	.2

### 4- بين الكلّ

105	-1-	
105	مرثية	.1

الصفحة	اسم القصيدة	ت
110	الدهلينز	.2
117	دورة ( آل إبراهيم )	.3
	-2-	
119	النزهة	.4
120	خيز التموين	.5
121	صباح العطلة	.6
122	يوسف يلبس النظارات	.7
124	الولد يبيع الماء البارد	.8
125	الراقصة	.9
126	الولد الضال	.10
126	إمرأة	.11
	-3-	
127	(1) تنويمية	.12
128	(2) حلم	.13
129	(3) الفجر	.14
130	(4) علمدار	.15
132	(5) مدرسة المحمودية	.16
133	(6) وحدة	.17
134	(7) هروب	.18
135	(8) أفراح	.19
136	(9) جيران	.20
137	(10) ولائم	.21

الصفحة	اسم القصيدة	ت
138		.22 (11) المَلَأ
139		.23 (12) قناطر
140		.24 (13) شريعة
141		.25 (14) أغنية
142		.26 (15) العصر
143	-4	
143		.27 فاضل حميد
146		.28 مُدَاهمة
147		.29 وطن
148		.30 بور سعيد
149		.31 إصرار
150		.32 رحيل
151		.33 تاريخ
152		.34 قصيدة
153		.35 الأمويّ
156		.36 المألوف (1)
157		.37 المألوف (2)
158		.38 ثلاثة أيام
161		.39 الرحيل
162		.40 الجبّة
164		.41 غرفة خارج الوطن
166		.42 النزهة

الصفحة	اسم القصيدة	ت
167	-5	
167	دعوة متولي عطية لحمل السلاح بعد انتهاء القتال	.43
178	ليل الخبز	.44
180	-6	
180	(1) كتاب عباس بن فرناس	.45
181	(2) كتاب أبي العلاء	.46
182	(3) كتاب ابن رشد	.47
183	(4) كتابي	.48
184	هو	.49
187	أرق	.50
188	كورال	.51
190	القفل	.52

### 5- الخارطة

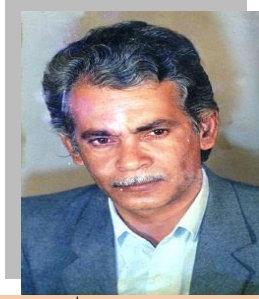
191	تقديم	
192	الخطاب	.1
195	البستان	.2
197	فراغ	.3
199	قصيدة	.4
200	المواطن	.5
202	زهرة للمواطن	.6
205	الخارطة	.7

الصفحة	اسم القصيدة	ت
207	المقايسة	.8
211	الجنابة	.9
214	أمّ العصافير	.10
216	القمر والأطفال	.11
217	دائماً	.12
218	الأجنحة	.13
224	حقائب	.14
225	أغنية إلى بغداد	.15
228	نشيد	.16
229	خيز البترول	.17
233	غزو	.18
235	ما الذي تغيّر أيها الشاعر...؟	.19
238	حكاية	.20

### 6- البدايات

241	اللون الصامت	.1
243	الجندي العائد	.2
244	رجل آخر	.3
245	طير ورماد أزرق	.4
247	أسلاك	.5
249	سيدي الخوف	.6
252	عيني عليك	.7

الصفحة	اسم القصيدة	ت
253	الحجر الذي رأى	.8
263	موجز عن السيرة الذاتية	



مصطفى عبدالله

- ولد في قضاء أبي الخصيب عام 1947 (محافظة البصرة- العراق ) .
- حصل على بكالوريوس علوم الحياة - جامعة البصرة.
- كتب إضافة للشعر ، القصة والمسرحية والمقالة والسيناريو.
- توفى في المغرب عام 1989 .

### أنا الأجنبي

عرفتُ حدودي

فرتبتُ لي وطناً من ورق

-إنه علبَةٌ للسجائر -

وحين يباغتني في المقاهي القلق

ويتبعني مثل عود الثقب

ألمّ متاعي وأشعلُ سيجارتي

ثمّ أمضي

الأجنبي الجميل

خفيفاً ،

بما يحترق !..